النشاط الصهيوني

في مصر قبل قيام إسرائيل

من عام ١٨٩٧ إلى ١٩٤٨ م





فتحي عبد العليم

مكتبة جزيرة الورد

فتحي عبد العليم

النشاط الصهيوني في مصر

من عام ١٨٩٧م إلى ١٩٤٨م

تقديم

عبد القادر ياسين



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : النشاط الصهيوني في مصر

المـــــؤلف : فتحي عبد العليم

رقــم الإيداع : ٢٠١٠/٢٤٧٣٠

الطبعة الأولى ٢٠١٠



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ _ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

تقديم

لأن مصر هي الهدف الرئيسي ، لذا أولتها قيادة الحركة الصهيونية جُل اهتمامها ؛ ومن هنا لم يكن مستهجنًا أن يمتلك «الشاي» - جهاز المخابرات الصهيوني قبل قيام إسرائيل - ثالث أقوى فرع له في مصر ، بعد فلسطين نفسها ، والاتحاد السوفييت ؛ في محاولة لتوفير شروط النجاح للمشروع الصهيوني العتيد : «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل ! » .

من هنا كان العزيز / فتحي عبد العليم موفقًا في اختيار «النشاط الصهيوني في مصر» موضوعًا لكتابه هذا .

لقد أجاد عبد العليم تنسيق كتابه هذا ، ووُفق في تتبع «نشأة ووجود الطائفة اليهودية» ، في الفصل الأول ؛ ونفوذ اليهود الاقتصادي في مصر في الفصل الثاني ؛ الذي تأسس عليه نفوذهم السياسي ، وخصص له المؤلف الفصل الثالث ؛ لينتقل إلى حضور اليهود في الصحافة والإعلام في مصر ، حسب الفصل الرابع . قبل دورهم في الفن والثقافة ، في الفصل الخامس ؛ وقد توَّج هذا كله بالنشاط الصهيوني في مصر ، الذي تولاه الفصل السادس ، قبل الحديث عن «الفيلق اليهودي» ، في الفصل السابع ؛ واللغط الذي دار ، ولا يزال يدور حول موقع اليهود في التنظيمات اليسارية المصرية . ليختتم باستنتاجات عامة .

انتقد الفصل الثاني المرجع المهم للمرحوم أنس مصطفى كامل «الرأسمالية اليهودية في مصر » القاهرة : دار ميريت للنشر ، ١٩٩٩م .

فضلاً عن ملاحظة أخرى عامة عن الفصل الثامن ، وفيه تنازع المؤلف منهجان ؛ أولهما يساوي بين الصهيونية واليهودية ، وبالتالي بين الصهاينة واليهود ؛ فيما يفرِّق المنهج الثاني بين الصهيونية ، كحركة استعمارية ، وبين اليهودية كدين ، وبالتالي لا يضع كل يهود العالم في سلَّة الصهيونية . وقد ترتب على تلك الازدواجية سلبيات في الاستنتاجات ، وفي التحليل ؛ كأن يشكك العزيز فتحي بسفريات شارلوت ، ابنة جوزيف روزنتال ، المتكررة إلى فلسطين . ولم يلاحظ المؤلف بأن شارلوت هي زوجة من تولى قيادة «الحزب الشيوعي المصري» ، بعد ضرب حكومة الوفد للحزب ، سنة ١٩٢٤، وجاء أفيجدور من «الحزب الشيوعي الفلسطيني» للقيام بهذه المهمة .

كما كان المؤلف حنونًا مع حكومة أحمد زيوار باشا، التي أوفدت أحمد لطفي السيد إلى القدس ١٩٢٤، لحضور حفل افتتاح «الجامعة العبرية» ، نيابة عن رئيس الوزراء المصري ، آنذاك ، زيوار باشا . تأتي إلى من حاول المزاوجة بين الصهيونية والشيوعية ، بينما اعتبر لينين الأول «مرجعية في المطلق» ، وبذل خلفه ستالين جهودًا صادقة لإحباط المشروع الصهيوني برمته ، حين خصص الزعيم السوفييتي ستالين جمهورية بيرد بين جان جمهورية لليهود الروس ، ولطالما اتهمته الصهيونية بمعاداة السامية!

في فلسطين طرد الصهاينة العمال الشيوعيين اليهود من «الهستدروت» (اتحاد العمال اليهود) من صفوفه ، وفي مصر وقف إسماعيل صدقي باشا إلى جانب الصهاينة ، ظالمين أو مظلومين ، كيف لا ، وقد عينوه عضوًا في مجالس إدارته اثنتي عشرة شركة صهيونية في مصر . وصدقي الطاغية ، المعادي للديمقراطية ، والشرس في مقاومة الشيوعية ، وفي قيادة السراي والمحتل الإنجليزي .

ثم من منا ـ نحن الكهول ـ يمكنه أن ينسى ذلك الكاتب المصري الشهير ، الذي دأب على الحدود بين الصهيونية والشيوعية ، وهو العبوس ، الذي يعقِّد كل أمر بسيط . وحين هاتفه الصحفي المصري المعروف سعد زغلول فؤاد ، خريف ١٩٥١ ، مدعيًا بأنه صحفي أمريكي ، وحين التقيا ، زعم فؤاد بأنه مندوب للمخابرات المركزية الأمريكية ، فتهلل العبوس ، وزاد ترحيبه بضيفه ، وإن حمَّله خطابًا للمخابرات المركزية الأمريكية ، التي تصرف مكافأة أكبر لأحد أساتذة الجامعة الأمريكية (أ.ب.) ، مما تصرفه للمضيف ، الذي وعد ـ مع هذا كله ـ بأن يضاعف جهوده ضد الشيوعية والشيوعيين ، طوال حياته . ونُشر حديث أخينا في أسبوعية «الجمهور المصري» القاهرية ، وكانت فضيحة !

وبعد ، فإن العزيز فتحي يستحق التحية على كتابه هذا ، الذي يعد ـ بحق ـ إضافة إلى المكتبة السياسية العربية .

عبد القادر ياسين

القاهرة في

٢٠١٠/١٠/٢٤م

مقدمة

من الأمور البديهية أنه لم يأتِ قيام إسرائيل في قلب المنطقة العربية والمشرق الإسلامي من فراغ أو هدية من السماء لأبناء صهيون، أو تحقيقا لنبوءة توراتية في كتابهم المقدس ولكنها جاءت كثمرة ومحصلة نهائية لمشروع وتحقيق وإنجاز لرؤية سياسية، وتحويل لحلم وأسطورة إلى واقع صلد غير قابل للكسر أو الاختراق، لأجل غير معلوم في مقابل أمة مجردة من المشروع أو الرؤية.

وإذا كانت الصهيونية هي الأداة المؤسسية والتنظيمية في تنفيذ ذلك المشروع ، وهي الذراع الحركية المنوط بها الفعل الإيجابي والمؤثر ، والذي ينتج عنه إفراز معطيات واقعية ، وتكريس حقائق استراتيجية على الأرض، وإذا كان تشرشل قد قال يوماً « الحقائق الإستراتيجية يحتاج تكريسها إلى مجموعة من الأكاذيب»، فإننا لن ننظر إلى الأكاذيب، و في ذلك أمرهم المعهود ، ولكن الأجدر هو النظر إلى الفعل الصهيوني ، والذي أمتد على مسرح واسع وساحة عريضة بالقياس الجغرافي واستغرق نصف قرن بالقياس الزمني والتاريخي منذ البداية الرسمية في بازل بسويسرا عن عام ١٨٩٧م وحتى إعلان قيام الدولة اليهودية في ١٤ مايو عام ١٩٤٨م ، وقبل البداية الرسمية ، كان هناك عقود عديدة من الجهود والأنشطة المستترة للصهيونية وإذا كان إعلان قيام إسرائيل يمثل كارثة قومية وتاريخية للعرب والمسلمين ونقطة تحول عميقة في مجرى حياتهم المعاصرة. ويوم له ما بعده في تاريخهم ففي المقابل كان هذا الإعلان أكبر انتصار لليهود في تاريخهم التعيس ، استطاعوا به إجراء أكبر عملية استبدال للدياسبورا ، فقد تم التبديل والتغيير من

الشتات اليهودي المعروف إلى التيه والشتات العربي الغير معروف والذي لم يألفوه من قبل وبمقتضى ذلك، وصل الصهاينة وجموع اليهود إلى بر آمن بينما ألقوا بالعرب جميعاً وفي القلب منهم جموع الفلسطينيين في (بحر الظلمات) واستطاعت الصهيونية أن تتعامل بمهارة ودهاء وصبر دءوب مع كل الأطراف، مع الغرب العملاق، والقوى الدولية الفاعلة فيه، ومع العرب المساكين، ومع اليهود أنفسهم لقد كانت خلال مسيرتها وفي سعيها الطويل لإنجاز مشروعها تضرب على الأوتار الحساسة في العقل والوجدان اليهودي والغربي على السواء، وتوظيف ذلك سياسيا إلى أبعد مدى وليس أدل على ذلك من الأبيات التي كتبها الشاعر البريطاني «اللورد بايرون» في مجموعة قصائده المعروفة والتي تسمى الأغاني العبرية ومنها قصيدته المعبرة والتي تقول :

للبيامة عشها وللثعلب كهفه

ولكل شعب أرضه إلا اليهودي

فليس عنده، غير قبره

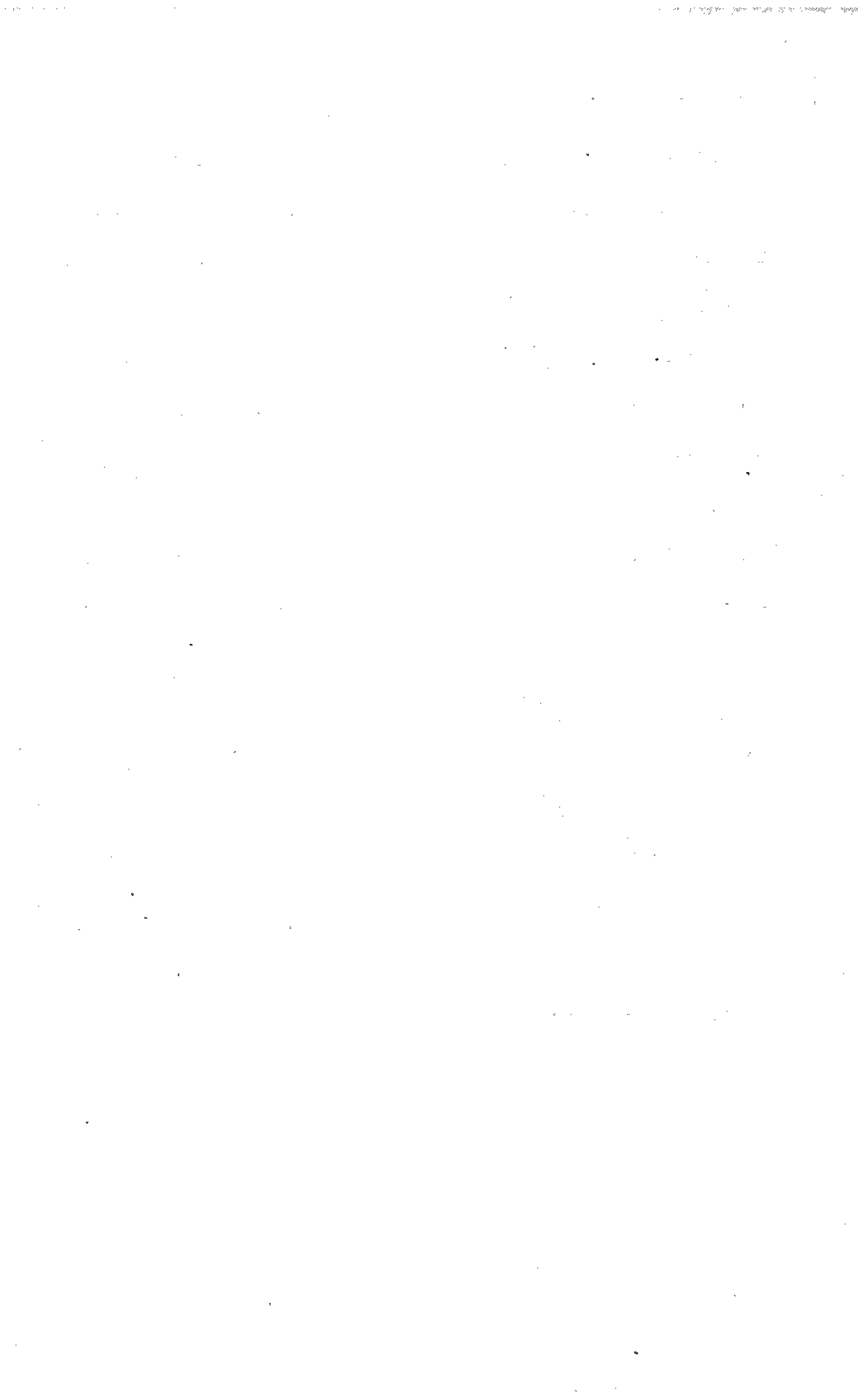
هذا هو وجدان اليهودي، حيث الاغتراب والبؤس النفسي، وفقدان الكيان وعدم وجود أرض أو وطن يأويهم ومن هنا جاء بناء وتراكم المسألة اليهودية فهناك شعب بلا أرض، يتعرض للاضطهاد والمذابح وتحيط به الكراهية الاجتماعية وسط المجتمعات الغربية الأمر اللافت للنظر أن هذه الأوضاع البائسة ليهود الغرب، كانت تختلف تماماً عن حياة وظروف يهود الشرق فلم تكن هناك «مسألة يهودية» في المجتمعات العربية والإسلامية ولم يكن هناك «جيتو» يهودي وسط الشعوب العربية والإسلامية . وحارة اليهود، كانت مجرد تجمع لأصحاب مهن وحرف معينة، إذن لم تكن هناك مسألة يهودية أو «جيتو» أو «مذابح»، «بوجروم» على النمط الروسي أو البولندي، على العكس كان هناك اندماج وعلاقات مفتوحة

لليهود مع كافة فئات المجتمع وعلى كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بداية من المتجر والشارع وانتهاء بقصر الحاكم ومبنى البرلمان. بناءً على هذه المعطيات والحقائق التاريخية التي لا تقبل الجدل ولا ينكرها إلا أهل الجحود، كان من المنطق أن يقف يهود الشرق وخصوصاً يهود مصر على أرض محايدة أو يتبعوا مبدأ «الحياد السويسري» المعروف، ولكن هذا لم يحدث بل كانت هناك استجابات قوية ومؤازرة عالية المستوى للمشروع الصهيوني ونتيجة لظروف وعوامل عديدة صارت مصر ملعباً مفتوحاً للنشاط الصهيوني منذ الإرهاصات الأولى للفكر والمشروع الصهيوني وحتى قبل البداية الرسمية له في بازل عام ١٨٩٧م. وإذا كان المشروع الصهيوني بحكم النشأة وبطبائع الأشياء ، قد تم صياغته وهيكلته في «المتروبول» الاستعماري الغربي ، وعواصم القرار الدولي إلا أن هذا المشروع كان له محطاته الإقليمية الهامة ، وأهمها «محطة مصر» بالمعنى السياسي والاستراتيجي والتكتيكي وكانت مصر دوماً في بؤرة الاهتمام الصهيوني ، وذلك لقربها الجغرافي من «الأرض الموعودة »، ووجود طائفة يهودية قوية وغنية وتملك الكثير من الموارد والنفوذ وهي بمثابة قاعدة استراتيجية للنشاط والحركة، يضاف إلى ذلك أن مصر هي أكبر دولة عربية ، وهي أكبر قوة إقليمية ومحورية في المنطقة لذلك فقد ذكر من جورين فيما بعد في كتابة «إسرائيل في سنوات التحدي» : «أن إسرائيل لا تحسب حساباً لدولة عربية إلا مصر؛ لأنها الدولة العربية الوحيدة التي لها جيش منظم». وهذا القول يبين مدى ماربحته إسرائيل من اتفاقها السياسي مع مصر في السبعينيات، ولكن في المقابل فإن موقف مصر من إسرائيل منذ بدايته لم يكن موقفا جادا وهي لم تستطع أن تقضي على إسرائيل وهي وليدة ضعيفة، فكيف الآن وقد استعصت وتعملقت، ما يهمنا في هذا الأمر هو هذا الموقف غير الجاد من مشروع إقامة الدولة الصهيونية هل هو مجرد ادعاء أو اتهام لمصر، أم أن الحقائق

والمعطيات السياسية في ذلك العهد كانت ناطقة بذلك وهل هذه الوقائع والمعطيات تمثل حكم إدانة لعهد بأكمله كنظام سياسي وقوى فاعلة ورموز فكرية وثقافية وسياسية أم لا؟ وهل مصر انفردت وحدها بهذه الظروف أو المواقف، أم أن (الكل في الهم شرك)؟ وإذا كانت مصر تكفلت بحساب نفسها قبل أن يحاسبها الآخرون وسقط نظام سياسي بأكمله ، وانتهى عهد وأسرة مالكة حكمت مصر ما يقرب من قرن ونصف ، فليس من شيم الأمم والشعوب العريقة أن تكرر أخطاءها. إن قصة الأمس التي سيتولى هذا الكتاب تقليب وفرد صفحاتها هي نفسها قصة اليوم وبالتالي يتحدد الهدف والغرض من البحث والتحليل وهو تقديم «جرس إنذار» و «دق ناقوس» خطر، لعل السكارى والغافلون ، ومن أمعنوا التطبيع وسهلوا اختراق مجتمعاتهم أن ينتبهوا أو يتماثلوا للشفاء من أمراضهم قبل حلول الكوارث ونزول النوازل.

إن هذا الكتاب ، يمثل مساهمة متواضعة فى معركة الرشد العربى ، من أجل استعادة الوعى والإرادة ، وبدونها لا يمكن دخول أى معركة أو الصمود أو النصر فيها . وإذا كانت الحكمة المتداولة تقول : « التجربة خير معلم » ، فعلينا أن نتعلم من تجاربنا . وإذا كان القول المأثور للنبى (صلى الله عليه وسلم) : « لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين » ، فما أحرانا أن نكتفى من اللدغات ، وما أحرانا أن نكون مؤمنين .

فتحى أحمد عبد العليم





الفصل الأول

نشأة ووجود الطائفة اليهودية





من الملاحظ ، أن تزايد حجم ودور الطائفة اليهودية فى مصر ، ترافق وتزامن مع تأسيس المشروع الصهيونى من ناحية ، ومع قدوم الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م من ناحية أخرى ، ففى عصر الخديو إسماعيل وقبل الاحتلال البريطانى ، لم يتعد عدد اليهود فى مصر ٧٠٠٠ نسمة ، كانوا يتركزون فى القاهرة والإسكندرية ، وترجع الأصول الاجتماعية لأغلب العائلات اليهودية إلى الخروج المسلم واليهودى من الأندلس بعد العودة الكاثولكية إليها ، وقد توزع هؤلاء اليهود على شواطئ البحر المتوسط من المغرب وحتى استانبول فى دائرة شبه كاملة[١] .

ويلاحظ أن عدد اليهود ٧٠٠٠ نسمة قبل الاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢م قفز إلي٣٨٦٣٥ نسمة عام ١٩٠٧م ، حسب الإحصاء الرسمى لذلك العام ، تضاعف هذا العدد تقريباً ووصل إلى ٦٣٥٥٠ نسمة ، حسب الإحصاء الخاص بعام ١٩٢٧م[٢] . وبالطبع هناك عديد من العوامل التى ساعدت على نشأة وتواجد وتزايد أعداد هؤلاء اليهود وتواجدهم على الخريطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كما سنرى لاحقاً . من هذه العوامل السياسة التى انتهجها محمد على ومن بعده حفيده الخديوى إسماعيل ، من حيث جذب الاستثمارات ورؤوس الأموال الأجنبية ، لخدمة المشروع التحديثى لمصر . وعمليات التحديث والنهضة والتى بدأها محمد على واستمرت فى عهد إسماعيل ، كانت تحتاج أيضاً إلى تقنيات فنية وأساليب مستحدثة فى الإدارة والاقتصاد ، وعنصر بشرى مؤهل يمتلك الخبرات والكفاءات ، لذلك كان العنصر الأجنبى واليهودى مطلوباً أو متاحة له الفرصة تلقائياً ، أيضا ، تاريخياً اليهود معروفون بارتباطهم بالتجارة والربا وكانوا يقومون فى كثير من فترات التاريخ بدور التاجر الدولى ، والوسيط فى عمليات

1) محمد حسنين هيكل ، **المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل** ، الكتاب الأول ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٩٧م ، الطبعة السابعة ، ص ١٥١ .

(2) المصدر نفسه ،ص١٥١ ومابعدها.

التبادل والعلاقات الاقتصادية الدولية .

لذلك جاء افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م ، ليضع مصر على خريطة التوزيع الدولية ، ويعيد لها دورها المميز ومكانتها الهامة فى التجارة بين الشرق والغرب والذى افتقدته منذ عصر الكشوف الجغرافية واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، والذى كان سبباً مباشراً للتدهور الاقتصادى الذى أصاب مصر والمنطقة وأدى إلى سقوط دولة المماليك ، وهكذا أدى افتتاح قناة السويس إلى نشوء حالة من الرواج الاقتصادى وانتعاش التبادل التجارى ، مما أغرى كثير من الأجانب ومنهم اليهود من دول أوروبا وحوض البحر المتوسط ، للهجرة والإقامة فى مصر ، أيضا من هذه العوامل ، السياسة العامة التى اتبعتها الدولة العثمانية ومعها مصر من توفير الامتيازات الأجنبية للجاليات الأوروبية ، ومن توفير للحصانة ، والقضاء والمحاكم الخاصة بالأجانب ، وطبيعى أن ما ينسحب على الأجانب يرتد تلقائياً على اليهود. يضاف إلى ذلك، توافر الأمن والاستقرار فى مصر ، وشيوع روح التسامح الدينى لدى الشعب المصرى ، كل ذلك جعل من مصر «أرض الأحلام» بالنسبة للأجانب واليهود فى تلك الفترة. وفيما يخص روح التسامح الدينى ، لابد أن ننوه إلى أن هذه الطبيعة التسامحية ، سواء كسياسة عامة لدولة الخلافة أو الدولة المصرية ، أو كسلوك اجتماعى لعموم الشعب المصرى ، أو غيره من الشعوب العربية والإسلامية ، لا يجب النظر إليها كميزة أو فضيلة ، بل تمثل نوعاً من السطحية والسذاجة الاجتماعية والسياسية ، قابلها اليهود والصهاينة بما يليق بها من مجازر وجرائم وإذلال للشعب الفلسطينى والعرب عموماً. والحقيقة ، أنه لفهم طبيعة النشاط الصهيونى فى مصر وأهدافه ومراميه ، أوجب التوقف عند عهد إسماعيل ، والنظر بعمق إلى الأصابع اليهودية والأغراض الصهونية الخفية لذلك فقلة عدد اليهود فى ذلك العهد والذى بلغ ٧٠٠٠ نسمة لا يعنى قلة النشاط أو الحركة أو النفوذ . ففى القاهرة ، كانت توجد حارة اليهود ، وكانت حياً نشيطاً قريباً من قلب

العاصمة التجارى ، ولم تكن حارة اليهود عبارة عن (جيتو) بالمعنى المعروف فى تاريخ اليهود فى أوروبا ولكنها مجرد تجمع لليهود ، وكان هناك اندماج فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية المصرية وفى الإسكندرية كان تجمع وتركيز اليهود بصورة أكبر ، إذ الإسكندرية تمثل العاصمة الاقتصادية لمصر أنذاك وطبيعة موقعها البحرى والجغرافى تتلاءم مع ميول وأنشطة اليهود ، حيث التوكيلات وأعمال المال والبورصة والبنوك ، وكما سبق الإيضاح ، كانت مصر هى أرض الأحلام بالنسبة للجاليات الأجنبية وفى القلب منها العائلات اليهودية .

واستغل اليهود ثروات وموارد مصر لبساطة أهلها وأمانة شعبها ، فسيطروا سيطرة تامة على اقتصاد هذا البلد ، واستخدموا فى ذلك وسائل شتى من وسائل الربا التى احترفوها ، وقد أصبحت مصر مسرحاً للمرابين خلال عصر إسماعيل وما بعده ، حتى أطلق على هذا العصر، اسم «العصر الذهبى» للمرابين وذلك بسبب كثرة القروض وعمليات الربا التى تمت أثناءه[1]. ووصل الأمر بالمرابين اليهود إلى أنهم انتشروا فى مصر من أقصاها إلى أدناها ، وكان هؤلاء المرابون اليهود يقسمون مصر فيما بينهم إلى مناطق حتى لا يتعدى أحدهم على حق الآخر ، وكانت وسيلتهم الأساسية لاغتصاب العقارات وتراكم الثروات هى إقامة بنوك الرهانات وتقديم القروض واستغلال حاجة الفلاحين والمزارعين للقروض. وعندما يعجز الفلاح المسكين عن السداد ، يتم الحجز على أرضه ، يساعدهم على ذلك الحصانة والامتيازات الأجنبية والتى كانت تمثل سنداً وموقع قوة لهم فى تعاملاتهم المالية أمام الفلاح أو المواطن المسحوق المجرد من أى حماية أو دعم أو مساندة، لذلك ، كانت الغالبية العظمى منهم ، تحمل جوازات سفر أجنبية للتمتع بتلك الامتيازات الأجنبية. كان النشاط المفضل لليهود بالإضافة إلى تجارة المال من بنوك ورهونات

(1) انظر : د. حسين كفافى ، هنرى كورييل الأسطورة والوجه الأخر ، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، سلسلة «تاريخ المصريين» ، العدد ٢٤٠ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٣ وما بعدها .

هو تجارة القطن ، لأنه يمثل محصولاً نقدياً وهكذا فى عام ١٨٥٧م عندما تأسست الشركة المساهمة للملاحة البحرية ، لنقل القطن من الإسكندرية إلى موانئ أوروبا ، كان اليهود يمثلون أغلبية مؤثرة فى مجلس إدارتها[1] .

وفى عام ١٨٦٠م سمح للأجانب أن يقيموا محالج للقطن فى المزارع التى يغتصبونها ، وأيضا فى عام ١٨٧١م أنشئت بورصة العقود بالإسكندرية ، وفى عام ١٨٧٢م أنشئت بورصة ميناء البصل بنفس المدينة. وهكذا تدريجياً ، كان اليهود يشكلون المحور الأساسى فى تجارة وحلج وكبس ونقل القطن ، وأخذوا يملكون كل أدوات السيطرة على بورصة القطن ، من التحكم فى أسعاره ، وتحديد جودته وكمياته التى يتم تصديرها إلى أوروبا. ونتج عن ذلك نتيجتين فى غاية الأهمية الأولى أن القطن وهو المحصول الاستراتيجى الرئيسى الذى قام عليه الاقتصاد المصرى طوال تاريخه ، أصبح فى يد أفراد الطائفة اليهودية . الثانية ، أن الإسكندرية أصبحت بناء على ذلك ، مركزاً لنفوذ اليهود وتجمعهم وكان ذلك مقدمة لتغلغل اليهود فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فى مصر .

وإذا أمعنا النظر والبحث فى عهد إسماعيل ، فسوف نصل إلى كثير من الحقائق والمعطيات الهامة والخطيرة والتى أثرت على مسار السياسة والأحداث فى مصر ، على المستوى السياسى انتهج الخديوى إسماعيل سياسة جرئية وطموحة والتى كان يسعى من خلالها إلى أن تكون مصر قطعة من أوروبا ، وأن يجعل مصر فى مصاف الدول العظمى ، وخطا فى ذلك خطوات إيجابية وفعالة ، فقد أرسى الدعائم والهياكل الأساسية لنشر التعليم والثقافة ، وأنشأ مجلس شورى القوانين إلى غير ذلك من إنجازاته الحضارية بالإضافة إلى توسعاته فى السودان ومنابع النيل وكانت النقطة السلبية والخطيرة فى سياسته هى ثقته فى اليهود وجهله وحسن نيته معهم هو

(1) المصدر نفسه ،ص٢٣ومابعدها.

لم يدرأن الصهونية مع مرور الوقت وحتى قبل الإعلان الرسمى لها فى ١٨٩٧م صارت عنصراً فعالاً ولاعباً مؤثراً فى السياسة والعلاقات الدولية ، وأنها وطدت علاقاتها مع بريطانيا على حساب مصالح مصر واقتصادها ، وكان سعى إسماعيل للنهوض بمصر وبناء دولة حديثة فيها ، يتناقض مع المشروع الصهونى ، الذى بدأ تصميمه وطرحه على العقل والسياسة الأوروبية فى ذلك الوقت ، وصارت مصر هي البوابة الحقيقية لتحقيق المشروع الصهيونى وقيام إسرائيل ولذلك لجأت الدول الأوروبية ومن خلفها بيوت المال والرهونات اليهودية والتى تحمل بذور وطلائع الفكر والمشروع الصهيونى فى استدراج إسماعيل للإيقاع به فى «فخ الديون» ، وقامت بيوت الرهونات والبنوك اليهودية بتقديم القروض له ، مثل بنك أو «بنهايم» وبنك «روتشيلد جويش» وغيرهما وتولى عملية المفاوضات وفتح طريق الديون أمام الخديوى ، أثنان من اليهود فى حاشيته وهما «يعقوب قطاوى» ، و«يعقوب منشة » وكان كلا منهما بمثابة عراب أو دلال يأخذ بيد الخديوى إلى المصيدة. يضاف إلى ذلك ، أن القروض التى كان يقترضها إسماعيل ، لم تكن تصل كاملة للخزانة المصرية ، بسبب السماسرة والوسطاء ، وأغلبهم من اليهود[1] وهكذا تراكمت الديون على الخديوى ، ووصل الأمر إلى مرحلة «صندوق الدين» المعروفة ، حيث أحكمت بريطانيا قبضتها على مصر ، وكان ذلك مقدمة طبيعية وتمهيدية لاحتلال مصر ، وهو الأمر الذى تم فى عام ١٨٨٢م بالإضافة إلى أن مسألة الديون كانت السبب المباشر فى إسقاط نجم الخديوى إسماعيل ، والفصل الختامى فى مسيرته السياسية ، ويلاحظ فى هذه الأثناء ، أنه كانت هناك حرب صهيونية من الداخل ، من أجل زعزعة موقف إسماعيل والمطالبة بعزله ، وكانت تقود هذه الحرب الصحافة اليهودية ممثلة فى صحف (أبو نضارة ، والحاوى) ثم لحقتها

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢.

صحف (أبو زمارة، وأبو صفارة) وكل هذه الصحف كان يصدرها اليهودى «يعقوب صنوع» ومعه جموع اليهود ومن خلفهم الصهيونية العالمية وكان يحرك هؤلاء فكرة محورية مفادها، أن نجاح المشروع الصهيونى يستلزم بالضرورة إضعاف مصر ومنع تطورها، ولما كان الخديوى إسماعيل مؤهلاً لإحداث نهضة وتطور كبير فى مصر، لذا وجب العمل على إسقاطه وقطع الطريق عليه. وفى نهاية عهد إسماعيل تم تأسيس جمعية «اتحاد مصر الفتاة» بالإسكندرية ويلاحظ أن الغالبية العظمى من أعضائها كان من شباب اليهود وكان الهدف إسقاط وعزل إسماعيل، تحت ستار وذرائع مقاومة استبداده والتصدي لإسرافه والذي أسقط مصر في الديون (لاحظ أنهم هم الذين استدرجوه لفخ ومستنقع الديون) وفي هذا السياق ازداد التعاون والتنسيق بين بريطانيا والصهيونية العالمية، خصوصاً مع دزرائيلي أبرز رؤساء الوزراء البريطانية في العهد الاستعماري الفيكتوري.

وأبرز الأدلة على ذلك، أنه عندما أراد إسماعيل، أن يبيع حصة مصر في شركة قناة السويس فعرض إسماعيل الأمر على اليهودي «هنري أو بنهايم» وهو أحد الدائنين لإسماعيل كما قدمنا، وكان لإسماعيل شرطان هما، أن يتم البيع بمبلغ أربعة ملايين جنيه ذهباً ونقداً وعداً، وأن يتم ذلك سراً فقام أو «بنهايم» بعرض الأمر على «دزرائيلي» رئيس الوزراء البريطاني، والذي وجد نفسه في مأزق فسرية الصفقه كما يريدها إسماعيل معناها أنه لا يستطيع أن يعرض الأمر على البرلمان، وبالتالي فهو لا يستطيع تدبير المبلغ وقرر دزرائيلي عرض الأمر على البارون «روتشيلد» وكان دزرائيلي يدرك أن هذا المبلغ الضخم لا يستطيع «روتشيلد» تدبيره بسهولة ولا يتوافر تحت يديه في ذلك الوقت. ولكن رئيس الوزراء البريطاني فوجئ في اليوم التالي بالباوون اليهودي يطلب إيقاظه من نومه ويخاطبه قائلا: «الذهب جاهز لإتمام الصفقة بأسرع ما يمكن»[1].

(1) هيكل، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢

وهكذا كانت العقول الصهيونية متيقظة والأموال تم تجهيزها بسرعة لإقتناص الفرص والسير نحو تحقيق الأهداف البعيدة وهكذا اشترت بريطانيا حصة مصر في شركة قناة السويس برأس المال اليهودي وبعدها انفتح الباب على مصراعيه أمام الهجرة اليهودية وإقامة المستعمرات على أرض فلسطين وأيضاً بالتوازي بدأت تتضاعف أعداد الطائفة اليهودية في مصر يضاف إلى ذلك، أن الترتيبات أصبحت جاهزة للإعلان الرسمي عن ميلاد المنظمة الصهيونية العالمية، وأيضاً أصبح الطريق ممهداً لإصدار وعد بلفور والمسألة مسألة وقت لا أكثر والوقت والمستقبل في صالحهم.

ـ الحالة الديموجرافية والطائفية:

كما سبق أن أشرنا في بداية هذا الفصل، لم يتعدى عدد اليهود قبل الاحتلال البريطاني لمصر ٧٠٠٠ نسمة وبعد ذلك حدثت طفرة في أعدادهم وصلت إلي ٣٨٦٣٥ نسمة في عام ١٩٠٧م. ثم اقترب هذا العدد من الضعف بحلول عام ١٩٢٧م، حسب الإحصائيات الرسمية الخاصة بالدولة المصرية. وبالطبع لم تكن هذه الزيادة أو الطفرة ناتجة عن الزيادة الطبيعية ولكنها تعود إلي عامل الهجرة كما أشرنا في صدر هذا الفصل . وإذا ما حاولنا إجراء نوع من التصنيف أو التقسيم للتركيبة السكانية لهؤلاء اليهود المصريين فسوف نجد أن هناك أكثر من أساس أو محور للتصنيف فهناك الأساس العقدي والأساس الطائفي ثم أساس الجنسية وأخيرا الإقامة ويمكن إيضاح ذلك تباعا كما يلي :

أولا : الأساس العقدي :

تنقسم الطائفة اليهودية في مصر بصفة أساسية بناء علي المرتكز العقدي إلي مجموعة اليهود الربانيين «الحاخاميين» ومجموعة اليهود القرائيين، أما طائفة السامرا فعددها ضئيل وليس لها وزن عددي أو سكاني . ومجموعة اليهود الربانيين تمثل الأغلبية، بينما يمثل اليهود القرائيين الأقلية. وقبل الاحتلال البريطاني كان يبلغ عدد اليهود القرائيين ١٢٠٠ شخص من مجموع ٧٠٠٠ نسمة، ولكن عامل الهجرة أدي إلي زيادة الفارق في

العدد بين الربانيين والقرائيين ، لأن الهجرة في أغلبها الأعم من الربانيين . وعلي الرغم من قلة عدد اليهود القرائيين ؛ إلا أنهم امتلكوا الكثير من الصحف والمجلات التي كانت تصدر باللغة العربية . ويعتبر بعض الكتاب والباحثين اليهود القرائيين أنهم ، هم اليهود المصريون الحقيقيون . ولكن اليهود القرائين اعتبروا أنفسهم صهيونيين وذلك بشكل صريح من خلال صحفهم ، وهو ما سيتم التعرض له من خلال الفصل الخاص بالصحافة اليهودية. وذلك علي عكس الاعتقاد الشائع لدي البعض . واليهود الربانيون يؤمنون بالتوراة والتلمود والمنشاه ، في حين يؤمن اليهود القرائيون بالتوراة فقط . وكل مجموعة منهم لها الطائفة الخاصة بها. أي أن الطائفة اليهودية في حقيقة الأمر تنقسم إلي طائفتين ، طائفة الربانيين وطائفة القرائيين ، وكل طائفة لها حاخام خاص بها . كما يلاحظ أيضا ، أنه كانت هناك طائفة في القاهرة وطائفة في الإسكندرية. وجري العرف بين اليهود علي أن زعامة الطائفة تكون من حق العائلات اليهودية في مصر ، والتي أثبتت وجودها وجدارتها في مصر. مثل عائلة قطاوي في القاهرة ، وعائلات «أجيون» و «دي منشه» في الإسكندرية . وكان وضع زعامة الطائفة إجمالا في يد السفارديم.

ثانيا : الأساس الطائفي :

المقصود بالأساس الطائفي ، هو انقسام اليهود إلي سفارديم أي مجموعة اليهود الشرقيين ، وهم يهود البحر المتوسط والشرق العربي ، في مقابل الإشكانزيم وهم اليهود الغربيين والمقصود بهم يهود شرق أوروبا وروسيا. وترجع أصول السفارديم إما إلي اليهود الذين قدموا من شبه جزيرة أيبريا «الأندلس» ، فرارا من الاضطهاد ومحاكم التفتيش ، التي أقامها المسيحيون الكاثوليك بعد استردادهم للأندلس وسقوط الحكم والوجود العربي فيها . أو إلي المجموعات التي هاجرت إلي مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، خصوصا عقب افتتاح قناة السويس. أما اليهود الإشكانزيم فقد جاءوا عن طريق الهجرة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر هربا من روسيا وبولندا نتيجة الاضطهاد ومذابح «البوجروم»

التي كانت تقام لهم. ومصطلح «البوجروم» كلمة روسية تعني التدمير المنظم لطبقة أو جماعة ، وكلمة بوجروم كانت دائما تحتل عناوين ومانشيتات الصحف الأوروبية طوال القرن التاسع عشر وكانت تمثل صداعا مزمنا لدي العقل الأوروبي[1] .

أيضا كانت البوجروم هو أحد الملامح الدموية والتي تبلور عنها ما عرف «بالمسألة اليهودية» والتي كانت إفرازا للمجتمعات الغربية ولم توجد في المجتمعات العربية والإسلامية. والبوجروم كان مسئولا عن تحريك تيار الهجرة الدولية لليهود من شرق أوروبا إلي غربها وإلي الولايات المتحدة ، والبعض منها كان يذهب إلي بلدان أخري ، مثل اليهود الإشكانزيم الذين هاجروا إلي مصر خصوصا بعض أحداث كشنيف في روسيا عام ١٨٨٢م[2] . فيما يتعلق بمصر كان الإشكانزيم غير راضين عن زعامة السفارديم للطائفة ، وذلك بسبب نظرة التعالي التي كانت تحكم العلاقة بين الطرفين ، وطالبوا أكثر من مرة بإقامة طائفة خاصة بهم ولم تستجب السلطات لهم.

والانقسام والتعالي بين الإشكانزيم والسفارديم مازال موجودا حتى الآن داخل المجتمع والكيان الإسرائيلي.

ثالثا : أساس الجنسية :

ارتبط موضوع الجنسية بعنصر الهجرة الأجنبية إلي مصر من ناحية وعنصر الامتيازات الأجنبية من ناحية أخري . وقد حرص كثير من اليهود الذين هاجروا إلي مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين علي الاحتفاظ بجنسياتهم الأصلية ، للاستفادة بالامتيازات التي ترتبت للأجانب في ضوء المناخ السياسي العام ، الذي هيمن عليه النفوذ الأجنبي منذ عهد الخديوي سعيد وازداد في عهد الخديوي إسماعيل ، وكانت نهايته سقوط مصر في براثن الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م. وقد

(1)هيكل ، مصدر نفسه، ص ٢٨.

(2) قاسم عبده قاسم ، اليهود فى مصر « صفحات من التاريخ الحقيقى »، دراسة نقدية منشورة فى وجهات نظر (القاهرة) عدد يوليو/ تموز ١٩٩٩ ، ص ٢٣وما بعدها.

رتبت هذه الامتيازات الأجنبية وضعا متميزا للأجانب ومنهم اليهود من كل الجنسيات الفرنسية والإيطالية والبريطانية والتركية. الأمر الذي دفع اليهود المهاجرين إلي الاحتفاظ بجنسياتهم الأصلية ، والأكثر من ذلك ، أن بعض العائلات اليهودية والتي كانت مقيمة في مصر منذ عقود طويلة من الزمن سعت للحصول علي جنسية أجنبية مثل عائلة «قطاوي» والتي حصلت على الجنسية النمساوية عن طريق عميد العائلة «يعقوب قطاوي» المقرب من القصر[1] . أما اليهود الذين واجهوا عقبات في سبيل حصولهم علي الجنسية ، فقد فضلوا أن يبقوا بلا جنسية بدلا من الحصول علي الجنسية المصرية . وقد استمرت الامتيازات الأجنبية بأوضاعها الاستثنائية العنصرية حتي ألغيت عام ١٩٣٧م بمقتضي اتفاقية مونترو عام ١٩٣٧م. وتبين الإحصاءات الرسمية منذ عام ١٨٨٢م وحتى قبل عام ١٩٣٧م ، أن عدد اليهود الذين يحملون جنسيات أجنبية يعادل عدد اليهود الحاملين للجنسية المصرية مع وجود فروق طفيفة ، ولكن النسبة انخفضت في عام ١٩٣٧ لتصل إلي ٣٦٪ ثم انخفضت إلي ٢٢,٦٪ عام ١٩٤٧م.

ويرجع سبب هذا الانخفاض إلي وجود مؤثرات هامة ، انعكست علي أوضاع ومصالح اليهود . فقد ألغيت الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧م. وبالتالي لم يعد هناك مبرر أو مصلحة عملية في الاحتفاظ أو التمسك بهذه الجنسيات . وقبلها صدر قانون الجنسية عام ١٩٢٩م ، والذي أعطي حق الحصول علي الجنسية لمن يتمتعون بالرعوية العثمانية أو ولد أو يقيم في مصر ، وحتي الأجانب الذين ولدوا في مصر لهم الحق في الحصول علي الجنسية ، وفي نفس الوقت أعطي القانون الأجانب الذين يعيشون في مصر حق الإقامة دون التمتع بالحقوق السياسية إلي أن يتم توفيق أوضاعهم[2] .

---

(1)د/ محمد سعيد عبد الظاهر ، يهود مصر ، دراسة في الموقف السياسي ١٨٩٧ - ١٩٤٨ ، القاهرة : جامعة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٤.

(2)Landau، Jacop M. : The jewsin nineteenth certury Egypt London، ox ford univensity press، 1968 pp. 207 – 208

وشهد عام ١٩٤٧م، صدور القانون الشهير رقم ١٣٨ لسنة ١٩٤٧م، والخاص بتنظيم الشركات المساهمة واتجه بها نحو التمصير[١] . والذي كان من أبرز الإيجابيات السياسية والاقتصادية في تلك الفترة، والذي نصت المادة الرابعة منه علي أن يكون ٤٠٪ علي الأقل من أعضاء مجلس إدارة الشركات من المصريين وإلا تبطل قراراته وتغرم الشركة غرامة لا تزيد عن ٢٠٠٠ جنيه مصري . بينما نصت المادة الخامسة من القانون علي ألا يقل عدد المصريين المستخدمين في الشركة عن ٧٥٪ من مجموع العاملين بالشركة، وألا يقل ما يتقاضونه من أجور ومرتبات من الشركة عن ٦٥٪ من إجمالي رواتب الشركة .

أما المادة السادسة فقد نصت صراحة وفي إطار التأكيد علي اتجاه التمصير علي ألا تقل حصة المصريين من أسهم الشركة المساهمة عن ٥١٪[٢] . وقد تعرض هذا القانون لهجوم شديد من القوي الصهيونية وصورته علي أنه موجه ضد اليهود في مصر بوجه خاص . رغم أن القانون كان هدفه مصلحة مصر الاقتصادية في ظل الزيادة السكانية وتوفير فرص عمل جديدة أمام المصريين[٣] . ورغم أن الإحصاء الرسمي لعام ١٩٤٧م، أوضح أن نسبة اليهود الأجانب لا تتعدي ٦ , ٢٢٪ من إجمالي عدد اليهود المصريين . وأن المقصد القانوني للمشرع المصري، هو إجراء عملية تنظيم لعمل الأجانب بشكل عام داخل مصر ومن ضمنهم اليهود غير المصريين، وهذا يعتبر حق أصيل لأي دولة أو حكومة. وقد دفع صدور هذا القانون الحاخام اليهودي «حاييم ناحوم أفندي» رئيس الطائفة، أن يدعوا أبناء

(1) نبيل عبد الحميد سيد أحمد، **اليهود فى مصر بين قيام اسرائيل والعدوان الثلاثى (١٩٤٨ – ١٩٥٦)**، القاهرة: مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، ١٩٩١م، ص ٥٩.

(2) مصلحة الشركات، محفظة رقم ٦١ ملف رقم ١٨٢ – ٢ / ٨١٠، الجزء الأول، ص ٢٢٤ – ٢٢٦ .

(3) عبد الحميد سيد أحمد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

الطائفة الذين لم يحصلوا علي الجنسية المصرية طالما أنهم لم يستوفون شروطها[1] .

وقد سبق أن حصل هذا الحاخام علي الجنسية المصرية عام ١٩٢٩م. هذا وقد قامت الطائفة اليهودية في القاهرة والإسكندرية بفتح مكاتب إرشادية ، لتوجيه اليهود وبيع الاستمارات الخاصة بالجنسية في محاولة لاحتواء أي آثار سلبية لهذا القانون علي أبناء الطائفة . فهناك يقظة تجاه كل شيء كالعادة . ويمكن القول : أن ظهور مشكلة اليهود الأجانب واليهود غير محددي الجنسية في عام ١٩٤٧م ، ترجع إلي عاملين ، العامل الأول ، هو المتابعة الدقيقة من مفتشي مصلحة الشركات لتطبيق التمصير وشروطه وضوابطه . والعامل الآخر والذي تزامن مع العامل الأول ، هو المتابعة الأمنية التي كانت تتم تجاه اليهود بسبب زيادة الاهتمام في ذلك الوقت بالنشاط الصهيوني . خصوصا أن عمليات الإرهاب التي قامت بها عصابة «شتيرن» عام ١٩٤٤م. واغتيال «اللورد موين» الوزير البريطاني بالزمالك بالقاهرة ، كانت تلقي بظلالها علي الحالة الأمنية والمناخ العام في ذلك الوقت.

رابعا : أساس الإقامة :

فيما يخص الإقامة ، جاءت مدينتا القاهرة والإسكندرية في الصدارة من حيث جذب اليهود للمعيشة والإقامة ، وجاءت بعدها باقي المدن المصرية مثل طنطا والمنصورة ودمنهور وكوم امبو وغيرها . وهذا شيء طبيعي لأن القاهرة هي «المتروبول» للمجتمع والدولة المصرية ، في حين أن الإسكندرية هي العاصمة الاقتصادية لمصر . ويرتبط مكان الإقامة دائما بالمستوي الاجتماعي والحالة الطبقية . ففي القاهرة تعيش الارستقراطية اليهودية حياتها المخملية في الأحياء الراقية ، مصر الجديدة ، والزمالك ، وجاردن سيتي وغيرها ، بينما يعيش الفقراء ومحدودي الدخل من اليهود في «حارة اليهود» وهو اختيار خاص بهم وليس مفروضا عليهم ، كما حاول بعض الأدعياء أن يصوروه . وحارة اليهود لم تكن حارة مغلقة أو «جيتو» منعزل ولكنها منطقة مفتوحة قريبة من قلب العاصمة

(1) المصدر نفسه ، ص ٨١ – ٨٢.

التجاري ولا يعيش فيها اليهود وحدهم ، ولكن يعيش فيها باقي المصريين من مسلمين ومسيحيين ، وهي ليست حارة واحدة لكنها مجموعة حارات مترابطة ومتجاورة. ويمكن وصف أو التعبير عن حارة اليهود بأنها نموذج اجتماعي لحياة طبيعية وسوية تجمع بين طوائف متعددة تعيش تحت مظلة اجتماعية تستمد قيمها من حضارة ودين عظيم مفتري عليه. وعاش تحت هذه المظلة أقوام تحولوا فيما بعد إلي قتلة أطفال ومجرمي حرب. وهذا قدر هذا الدين وقدر أبنائه علي مدار التاريخ. حيث يقدم العدل والرحمة والأخلاق والرقي الإنساني والسمو الحضاري ولا يلقي إلا الجحود والغدر وسفك الدماء. ولقد تعرض صلاح الدين الأيوبي القائد التاريخي المسلم لهذه الإشكاليات ، حيث كان كثير من حوله يتعجبون من معاملته الراقية لأسري الصليبيين وهم قد دخلوها في السابق «القدس» وكانت خيولهم تخوض في الدماء التي كانت تجري كالأنهار في شوارع ودروب القدس فكان يرد عليهم: «نحن لا نكفر بأخلاقنا من أجل أعدائنا».

- وعن النشأة التاريخية لحارة اليهود ، يقول «علي باشا مبارك» في كتابه المعروف «الخطط التوفيقية» : «هي جزء من الحارة القديمة التي عرفت بحارة زويلة في خطط المقريزي ، عندما نزل القائد جوهر بالقاهرة سنة ٣٥٨ هـ ، واختط لكل قبيلة خطة عرفت بها .ويسلك إليها من سوق الصيارفة ، ومن خط الخرنفش عند باب سوق السمك ، ومن شارع خميس العدس ودرب الصقالية المسلوك إليه من الزقاق الذي علي يسار المار من شارع السكة الجديدة ، من جهة قنطرة الموسكي». ونخلص من التوصيف الذي قدمه مؤرخو الخطط لهذه المنطقة إلي أن حارة زويلة قد انقسمت إلي أربعة أقسام : حارة زويلة المعروفة اليوم ، وحارة اليهود الربانيين ، وحارة اليهود القرائين ، ودرب الصقالبة . وجميعها يطلق عليها «حارة اليهود» ، غير أن لكل واحدة منها بابا من خط يبعد عن الآخر . أما في الداخل فالجميع حي أو حارة واحدة[1] . وتشغل حارة اليهود ، مساحة كيلو مترين تقريبا ، تبدأ من

(1)عرفه عبده على ، يهود مصر . بارونات وبؤساء ، دراسة تاريخية،(القاهرة : ايتراك للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ص ١١ وما بعدها .

وسط شارع الصاغة ، تتفرع بداخلها نحو ١٢ حارة وزقاق ويكثر بها المنحنيات والعطف ، وتتصل عن طريق سبعة منافذ ، بحي الخرنفش ، وجنوب الحسينية ، وتجار شارع الموسكي وخان الخليلي والصاغة وحي الحسين وقد فصلها عن شارع الحمزاوي (سوق الحمزاوي الكبير) شارع الأزهر عام ١٩٣٠م[١].

- وعودة إلي موضوع الإقامة ، وبعد أن عرفنا أن بارونات وأثرياء اليهود يسكنون أحياء القاهرة الراقية ، والطبقة الدنيا من اليهود عاشت في «حارة اليهود» ، نجد أن الطبقة المتوسطة منهم توزعت في أحياء عابدين والوايلي والجمالية وباب الشعرية والأزبكية ومصر القديمة . أما اليهود الإشكانزيم فقد تركزوا بصفة أساسية في درب البرابرة بمنطقة الموسكي ، وباقي مناطق وأحياء القاهرة. وفيما يخص الإسكندرية ، فقد كانت مركزا لتجمع اليهود في مصر ، وكانت تضم حوالي ٤٥٪ من إجمالي اليهود المصريين ، وحوالي ٢٠٪ من سكان المدينة وذلك في مطلع القرن العشرين[٢] . وكانوا موزعين بدرجات متفاوتة في أحياء الجمرك والعطارين والرمل وباكسوس وكرموز واللبان والمنشية ومينا البصل ومحرم بك وحي الميناء.

- ويجب التنويه في هذا الشأن إلي أن السلطات المصرية لم تتدخل بأي شكل في فرض نمط سلوكي معين علي اليهود سواء من حيث الإقامة أو الشئون الخاصة بالطائفة . يضاف إلي ذلك ، فالمحاكم التي أنشأتها الطائفة اليهودية ،أعطتها السلطات الحق في النظر في كل القضايا فيما عدا القضايا الجنائية والمالية أو الخاصة بتسجيل الممتلكات والعقود فكان منطقيا أن تخضع للمحاكم الجنائية والمدنية المصرية[٣] .



(1)المصدر نفسه، ص١٢ ومابعدها.

(2)كفافي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥.

(3)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣.

النشـــاط
الصـهيوني
في مصـــر

الفصل الثاني

يهود مصر
إمبراطورية اقتصادية

من الصعب تصور أن هناك نشاطاً صهيونيا في مصر ، بدون وجود طائفة يهودية قوية ونشطة وغنية ولها نفوذ وتأثير في الحياة المصرية بكافة أشكالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ويمكن القول أن الوجود اليهودي لهذه الطائفة وقدراتها المادية والبشرية ، كان يمثل القاعدة الإستراتيجية التي لا غنى عنها ، للعمل والتحرك والدعم من مصر وكانت الصهيونية العالمية بقادتها ورموزها وكوادرها على علم تام بتفاصيل الخريطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمصر وموقع ودور الطائفة اليهودية في هذه الخريطة. ومن هنا فإلقاء الضوء على موقع ودور اليهود في هذه الخريطة هو الوضع الطبيعي والتدرج التلقائي والمنطقي اللازم للحديث عن أي نشاط صهيوني في مصر بمختلف مظاهره وأبعاده فإذا انتقلنا إلى الحديث عن مظاهر النفوذ اليهودي في مصر في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، فسوف يتصدر الاقتصاد الأولوية دون منازع أو يمكن القول أن كلمة السر هي الاقتصاد فمن الثابت تاريخياً وبإجماع جميع المؤرخين أن الطائفة اليهودية في مصر عاشت العصر الذهبي لها خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وهي الفترة السابقة لقيام وزرع الكيان الصهيوني وبلغت في خلال هذه الفترة أوج ازدهارها وتألقها على كافة المستويات وفي الصدارة منها الجانب الاقتصادي . واستطاعت خلال هذه الفترة أن تقيم إمبراطورية اقتصادية بمعنى الكلمة ودون أي مبالغات. وأن تتحكم بالتالي في مفاتيح الاقتصاد وعصب الحياة الاقتصادية المصرية أو بعبارة أخرى أوجدت لنفسها واقعاً اقتصاديا زاهياً من صنع أيديها ومن نسيج أصابعها وقبل الاستطراد في عرض مظاهر وملامح هذا النفوذ الاقتصادي اليهودي على أرض مصر خلال تلك الفترة ، وينبغي الإشارة إلى نقطتين ، الأولى ، القدرات الخاصة لأفراد وعائلات تلك الطائفة والثانية هي مجموعة العوامل التي ساعدت اليهود المصريين على النمو والازدهار الاقتصادي فيما يخص النقطة الأولى فلا شك أن الطائفة اليهودية

بشكل عام والكثير من نجومها وعائلاتها بشكل خاص ، أثبتوا من خلال تجاربهم العملية والاقتصادية ، أنهم يتمتعون بقدر عالي من الحيوية والنشاط ، بالإضافة إلى توافر الخبرة والدقة والتنظيم . ساعدهم على ذلك أيضا توافر عنصر الثقافة والتعليم الحديث سواء من خلال التعليم الأجنبي أو من خلال مدارس « الاليانس» التابعة للاتحاد الإسرائيلي العالمي والتي كانت مدارس صهيونية تعمل على إعداد وتخريج الكوادر المؤهلة علمياً ومهنياً لتشق طريقها بكفاءة في مضمار الحياة الاقتصادية، وبالطبع لا يمكن إغفال الجوانب الذاتية للفرد اليهودي فهو يضع في أم رأسه وصوب عينيه دوماً مسالك القوة والمال والنفوذ ، وطموحه المادي ليس له حدود ، ويعمل في صبر وتؤده لبلوغ أهدافه ويفكر في صمت دون ضجيج وقد لا يبوح بها في صدره إلا في الوقت المناسب لذلك قيل أن الفشل نوعان ، الأول رجل يحلم ولا يعمل ، والثاني رجل يعمل ولا يفكر وعن اليهودي وحبه للمادة وعشقه للمال والنجاح الاقتصادي قيل الكثير ، فقد قال كارل ماركس. «اليهودي لا يعبد الله ولكنه يعبد الكمبيالة» وقد ذكر الأستاذ إحسان عبد القدوس في إحدى رواياته « ألا تتركوني هنا وحدي» : اليهود يضربون السوق بعصا سحرية ، فتتفتح منابيع الثروة والمال من تحت أقدامهم مثلما ضرب النبي موسى ، البحر بعصا فانشق طريقا سهلا وممهداً» وقد ذكر الرحالة اليهودي (صامويل) والذي عاصر تلك الفترة وزار مصر عام ١٨٧٩م، »أنه لم يرى في مصر عاملا أو خادماً يهودياً ؛ لأن اليهود يأكلون عيشهم برؤوسهم[1] وليس بأيديهم وهي عبارة لها دلالات عميقة وتبين خطورة وقيمة الرأس المفكرة، ومن هنا يكمن السر الحقيقي في قوة وازدهار إسرائيل وبؤس وتعاسة العرب والمسلمين. أما عن النقطة الثانية وهي مجموعة العوامل التي ساهمت في الازدهار الاقتصادي اليهودي في مصر فيمكن إيضاحها فيما يلي :

(1)نقلاً عن : على ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧.

١- نمط الحياة الاجتماعية لليهود في مصر والذي لم يعرف ظاهرة «الجيتو» والتي كانت مرتبطة تاريخياً واجتماعياً بالوجود اليهودي في الغرب والتي كانت معبرة عن العزلة والاغتراب والكراهية في المحيط الاجتماعي والاضطهاد المجتمعي فالجيتو معناه اليهودي المعزول المنبوذ المضطهد وبالتالي لا يمكن أن يتحقق نجاح مادي وازدهار اقتصادي مع وجود هذا الجيتو والعكس تماما كان موجوداً في مصر والمجتمعات الشرقية عموما ، حيث الاندماج والتغلغل في الحياة الاجتماعية والعلاقات المفتوحة مع كل الناس وجميع فئات المجتمع وتوافر الحرية الاقتصادية وعدم وجود عوائق أو معوقات سلطوية أو تشريعية أو دستورية أو إدارية ضد هؤلاء اليهود.

٢- في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أدخلت القوى الاستعمارية مصر في التقسيم الدولي للإنتاج إذ أصبحت أكبر مورد لمادة أولية دولية وهي القطن طويل التيلة ، والذي يصنع في دول أوروبية متقدمة اقتصادياً ، خاصة بريطانيا ومن هنا تم رسم السياسات الاقتصادية وصياغة المصالح العليا سواء للقوى الدولية أو للدولة المصرية ، بما يعظم من قيمة القطن كمحصول نقدي وسلعة استراتيجية وهكذا تحولت مصر إلى «مزرعة للقطن» وتم تدريجيا وبالتتابع اتخاذ كافة الترتيبات والإجراءات الإدارية والاقتصادية والقانونية اللازمة لخدمة زراعة وتجارة وتسويق وتصدير القطن وهكذا تم في عام ١٨٥٧م ، تأسيس الشركة المساهمة لنقل القطن من الإسكندرية إلى الموانى الأوروبية ، وكان اليهود يمثلون أغلبية مؤثرة في مجلس إدارتها وفي عام ١٨٦٠ م تم السماح للأجانب بإقامة محالج للقطن في المزارع المملوكة لهم ، وفي عام ١٨٧١م أنشئت بورصة العقود بالإسكندرية وكذلك في عام ١٨٧٢م أنشئت بالإسكندرية أيضاً بورصة مينا البصل[1] . وبطبيعة الحال كان اليهود مؤهلين بحكم ميولهم وخبراتهم ووجود نسبة كبيرة منهم من الأجانب لكي يلعبوا

(1)كفافى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤.

دور الوسيط التجاري أو حلقة الوصل بين مصر والدول الأوروبية فيما يختص بتجارة وتصدير القطن وتدريجيا أصبح اليهود يشكلون المحور الأساس في تجارة وحلج وكبس ونقل القطن وأخذوا يملكون كل أدوات السيطرة على بورصة القطن من التحكم في أسعاره، وتحديد جودته وكمياته التي يمكن تصديرها إلى أوروبا، وأصبح اليهود يشكلون ما يقرب من ٩٨٪ من العاملين ببورصة القطن[1]. واكتفى المصريون بدور الفلاح الذي يشقى في الأرض ويخاف من الدودة، ويصبر على ظلم الحكومة، ويفرح ويقيم الموالد وأعراس الزواج، إذا أثمر المحصول وجاء الحصاد وحصل منه على الفتات الذي يمكنه من تدبير أحواله والاستمرار في الحياة.

٣- كان تنفيذ مشروع قناة السويس افتتاحها رسمياً في عام ١٨٦٩م، عاملاً مباشراً في عودة مصر لتتبوأ مركزاً هاماً في خريطة توزيع التجارية الدولية فمعروف تاريخياً أن مصر منذ عصرا الكشوف الجغرافية واكتشاف رأس الرجاء الصالح بواسطة البرتغاليين، تعرضت لضربة اقتصادية وسياسية موجعة حيث فقدت طريق التجارة الدولية القديم الذي يربط تجارة الهند والشرق بأوروبا وأدى ذلك إلى سقوط إحدى الدول الكبيرة والمؤثرة في تاريخ مصر والمنطقة وهي دولة المماليك ثم مجيء قوة جديدة لتملأ الفراغ وهي قوة العثمانيين وقد أدى افتتاح قناة السويس تلقائيا إلى حركة رواج في النشاط التجاري والعلاقات الاقتصادية الدولية وكان من ثمار هذا المناخ أن ازدادت حركة هجرة الأجانب إلى مصر ومنهم بالطبع أعداد كبيرة من اليهود من أوربا وحوض البحر المتوسط، فكان هناك يهود من أزمير واستانبول وسالونيك وكورفو والجزائر والمغرب خلاف يهود من شرق وغرب أوروبا حتى بلغ هؤلاء اليهود في نهاية القرن التاسع عشر ما يقرب من ٣٠,٠٠٠ شخص.

٤-المشروع التحديثي لمحمد علي والي مصر وحفيده الخديوي إسماعيل الذي سار

(1) المصدر نفسه، ص ٢٦.

على خطاه كان يحتاج إلى الخبرات والمهارات الفنية والتقنيات الحديثة وبالتالي كان هناك ضرورة واحتياج إلى الأجانب ومن هنا تم إعطاء التسهيلات والامتيازات الأجنبية ، وهكذا تم توفير الحماية والحصانة من قناصل الدول الأجنبية لرعاياها وإقامة محاكم خاصة للأجانب ، وهو الأمر الذي أدى إلى غل يد القضاء المصري عن الأجانب وعدم مسائلتهم مدنياً أو جنائياً ، وبالطبع الذي كان يتمتع به الأجانب كان ينسحب تلقائيا على اليهود لذلك كان عدد كبير منهم يحتفظ بجواز سفر أجنبي ويحمل جنسية دولة أجنبية واستمر هذا الوضع حتى تم إلغاؤه عام ١٩٣٧م بمقتضى اتفاقية مونترو . لذلك ، خلال هذه الفترة كانت مصر بمثابة أرض الأحلام بالنسبة للأجانب ، حيث فرص العمل والاستثمار والثراء بلا أي قيود أو معوقات أو مساءلة.

٥- توافر عناصر الأمن والاستقرار وشيوع روح التسامح الديني وأي نشاط اقتصادي يحتاج إلى الأمن والأمان للقائمين عليه كما يحتاج إلى الاستقرار السياسي والسلام الاجتماعي ، وهو ما توافر في مصر بامتياز وبدرجة نسبية كبيرة وهو الأمر الذي أعطى للعنصر الأجنبي واليهودي ، المناخ الملائم والحياة الطبيعية والفرص السهلة والميسرة .

٦- الاحتلال البريطاني لمصر أعطى كثير من الحماية والدعم للطائفة اليهودية ، ومعروف أن أي احتلال يرفع من شأن الأقليات ويقدم الحماية لها على حساب الغالبية من أبناء الوطن والدليل على ذلك هو الزيادات المطردة في أعداد اليهود في مصر الاحتلال ، فتعداد اليهود قبل تاريخ الاحتلال بلغ ٧٠٠٠ نسمة فقط في حين أنه بلغ حسب التعداد الرسمي لعام ١٩٠٧م ، ٣٨٦٣٥ نسمة ثم تضاعف تقريبا عام ١٩٢٧م وصل إلى ٦٣٥٥٠ نسمة حسب التعداد الرسمي لذلك العام أيضاً خلال فترة الاحتلال البريطاني لمصر كانت مقررات الدولة المصرية ومعها الشعب المصري ، تتأرجح بين قصرين ، « قصر عابدين» و« قصر الدوبارة » الأول مقر حاكم مصر والثاني مقر إقامة

المندوب السامي البريطاني ورغم كل تقلبات وأزمات السياسة المصرية إلا أن اليهود ظلت علاقاتها على أفضل ما يكون مع كلا من القصرين الأمر الذي وفر الاستقرار المعيشي والاجتماعي والاقتصادي لهم وعن أحوال اليهود بعد الاحتلال يقول لاندوا «لقد كان إحساس اليهود في مصر بعد الاحتلال هو إحساس الأمان الكامل اجتماعيا واقتصاديا وأخذوا يسعون بحماس شديد للحصول على الحماية الأجنبية وما إن كانت ١٨٩٠م تابع إلا وقد أصبح نصف اليهود حاصلين على الجنسيات الأجنبية لذلك فإن الاحتلال الانجليزي في تاريخ اليهود يعتبر نقطة تحول كبيرة»[١].

٧- ظهور الصهيونية العالمية كإحدى القوى الفاعلة للنظام الدولي في ذلك الوقت وبالتالي حضورها الفاعل في عواصم القرار الدولي وحركة العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية بالإضافة إلى تغلغلها في كافة التجمعات والأوساط اليهودية ومن هنا كان تشجيعها لليهود من أجل الهجرة إلى مصر من أجل تدعيم قاعدة الارتكاز ومحور الدعم الإقليمي لهم في مصر وهذا أيضاً يمثل أحد أوجه التفسير لزيادة أعداد اليهود في نهاية القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين والسابق الإشارة إليها في النقطة السابقة.

مظاهر النفوذ الاقتصادي لليهود في مصر

تعددت مظاهر النفوذ والنشاط الاقتصادي لليهود المصريين وتسلمت كل أوجه النشاط المعروفة من البنوك والمؤسسات المالية إلى التوكيلات وأعمال البورصة وتجارة القطن إلى الشركات الصناعية والعقارية إلى مجال النقل والتأمين إلى خدمات السياحة والفنادق على تجارة الذهب والفضة والأحجار الكريمة على التجارة الداخلية ومجال الاستيراد والتصدر بالإضافة إلى شركات البترول وغير ذلك وسوف يتم استعراض

(١) استكمال المعلومات البيلوغرافية landon, Jacob : the jews in nineteenth – century Egypt some-socio- economic aspects . London, Oxford university press, 1968) pp,207-208 .

كافة هذه الأنشطة وإلقاء الأضواء عليها وذلك على الوجه التالي :

أولاً : البنوك والمؤسسات المالية :

تميز اليهود عبر تاريخهم الطويل بتميزهم الغير محمود في أعمال الربا والصرافة وإنشاء بيوت الرهونات والتسليف. والبنوك هي إحدى النظم المصرفية التي عرفتها أوروبا منذ القرن السابع عشر ، وسبقتها مرحلة تمهيدية من أعمال الصرافة وقبول الودائع بمختلف العملات ، وكان أغلب رواد هذه الأعمال والأنشطة من اليهود وتدريجياً ، استقرت هذه النظم المصرفية وأصبحت إحدى الركائز الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاديات الحديثة. فيما يخص مصر ، لم تعرف مصر هذه النظم المصرفية إلا بعد قرنين ونصف من نشأتها في أوروبا ، ويعتبر تاريخ البنوك المصرية هو نفسه تاريخ بنوك العائلات اليهودية التي استقر بها الحال في مصر واستغلت ما تجمع لديها من ثروات ضخمة منذ عهد الخديوي إسماعيل ومن أشهر العائلات اليهودية التي دخلت في هذا المضمار عائلات قطاوي وموصيري ومنشه ورولو وسوارس ، وقد أسهمت هذه العائلات في إقامة توجيه وإدارة هذه البنوك والتي مارست كافة المعاملات المالية ، وكان القائمون عليها يمتلكون عقليات مالية منظمة ولديهم قدرات وكفاءات عالية وقاموا بتمويل كافة الشركات الصناعية والزراعية والعقارية وأهم هذه البنوك ما يلي :

البنك العقاري المصري :

تم تأسيس هذا البنك في أول يناير ١٨٨٠م وأسهمت ثلاث عائلات يهودية في تأسيسه وإدارته وهي عائلات «قطاوي» و «سوارس» و «رولو» أيضاً ساهم في تأسيس وتوجيه هذا البنك ، أحد البنوك الفرنسية العالمية وهو بنك الكريدي لونيه وهو البنك الرئيسي لصندوق الدين في عهد إسماعيل وقد بلغ رأس مال البنك العقاري المصري عند التأسيس ٤٠ مليون فرنك ، ووصل إلى ٨٠ مليون جنيه

مصري عام ١٩٤٢م وبلغت أرباحه في نفس السنة مليون جنيه[1]. وقد لعب هذا البنك دوراً خطيراً في الاقتصاد الزراعي المصري وحتى عام ١٩٠١ بلغت جملة الأراضي التي يتحكم فيها ما يقرب من مليون فدان نتيجة القروض الهائلة التي كان يقدمها للفلاحين، وكان يتولى إدارة هذا البنك «روبيررولو» والذي أنعمت عليه الحكومة البريطانية بلقب «سير» نتيجة جهوده العظيمة في خدمة مصالحها.

البنك الأهلي المصري :

وهو أكبر وأنشط البنوك في مصر بشكل عام، وله دور في تاريخ مصر المالي والاقتصادي منذ تأسيسه عام ١٨٩٨م برأس مال قدره ٣ مليون جنيه انجليزي ومبلغ مماثل كاحتياطي ويلاحظ أن هذا البنك تحول إلى بنك مركزي عام ١٩٥١م وزاول إصدار أوراق البنكنوت بمقتضى امتياز ممنوح له وتم تأسيس هذا البنك على يد روفائيل سوارس و «أرنست كاسل» و «ميشيل سلفاجو» وأسهمت عائلات «سوارس» و «هراري» و «رولو» في تموين وإدارة هذا البنك.

بنك سوارس.

تم تأسيسه عام ١٨٨٠م باسم بنك أولاد سوارس، وأعيد تأسيسه عام ١٩٣٦م وأسرة سوارس من أصول فرنسية وبعض أبنائها يحمل الجنسية الإيطالية وكان مركزه الرئيسي بالإسكندرية بالإضافة إلى فرعين في القاهرة وطنطا مارس جميع الأنشطة والخدمات المصرفية، وكان ناشطاً في خدمة تجارة القطن وشركات التأمين والملاحة وتولى رئاسته «جاك نجار» وكان أبرز أعضائه كارولوس سوارس و«فريدي ساكس»، و «يوسف قطاوي».

بنك زلخة :

صدر مرسوم تأسيس هذا البنك في عام ١٩٤٤م برأس مال قدره ١٠٠ جنيه

(1)علي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨ وما بعدها.

مصري وكان على شكل شركة مساهمة مصرية وقد تم تأسيس هذا البنك على يد عائلة زلخة اليهودية العراقية بالإضافة إلى عدد من اليهود المتمصرين وكان مقره الرئيس بالقاهرة بالإضافة إلى فرعين آخرين أحدهما بالإسكندرية والآخر بحي الموسكي الشهير بالقاهرة مارس البنك كافة المعاملات المصرفية خصوصاً تجارة القطن، وساهم ومول بعض المشروعات، التجارية والصناعية. تولى إدارة البنك عطا الله خضوري زلخة وهو من مواليد بغداد عام ١٩١٣م، وأكمل دراسته في انجلترا عام ١٩٣٠م وعينة والده وكيلاً لبنك زليخة في سوريا ثم قدم إلى القاهرة عام ١٩٤٠م[1].

البنك التجاري المصري :

تم تأسيسه عام ١٩٠٥م باسم «بنك التسليف الفرنسي» ثم تحول إلى شركة مساهمة مصرية باسم البنك التجاري المصري عام ١٩٢٠م وأسهم في تأسيسه بالإضافة إلى الإدارة عائلتي سوارس وقطاوي وقد صادف تأسيسه ظروف اقتصادية سيئة أثرت على أعماله في الثلاثينات، ولكن تحسنت أوضاعه المالية ابتداء من عام ١٩٤٤م وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارته «جاك سوارس» و «جوزيف قطاوي».

البنك البلجيكي الدولي :

تأسس عام ١٩١٢م، وأعيد تأسيسه في شكل شركة مساهمة عام ١٩٢٩م وقد ساهم في تأسيسه عدد من البنوك والشركات المالية البلجيكية والبنك التجاري السويسري بالإضافة إلى عائلتي «رولو» و «عدس» اليهوديتين المصريتين وبلغ رأس ماله ٥٠٠ ألف جنيه مصري وكان مركزه الرئيسي بالقاهرة بالإضافة إلى عدة فروع في أحياء القاهرة والإسكندرية وقد تميزت تقاريره السنوية بالدقة والعمق عن كافة

(1) المصدر نفسه، ص ١١١، وما بعدها.

الأنشطة الاقتصادية المصرية وكان من أبرز الشخصيات التي كانت في مجلس إدارته «أميل نسيم عدس» و« سيرروبيررولو».

بنك موصيري :

أسسته أسرة «موصيري» في عام ١٨٨٠م ، بمشاركة من عائلة «كوربيل» ، وهو يعتبر من أقدم البنوك الإيطالية في مصر وكان على شكل شركة تضامن ثم تحول إلى شركة مساهمة عام ١٩٣٥م برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه وقد سيطر اليهود من ذوي الأصول الإيطالية على إدارته بالإضافة إلى أعضاء بارزين مثل «موريس نسم موصيري» وفيتا إبراهام فرحات و «فيلكس موصيري» ومارس البنك كافة الأنشطة والمعاملات المالية والتجارية.

وفيما يتعلق بالمؤسسات المالية ، أسهمت عائلات عدس ، ورولو ، وموجيري ، وقطاوي في تأسيس وإدارة الشركة المصرية المالية وتشكل مجلس الإدارة من كليمان عدس رئيساً وعضوية هنري موصيري وموريس ونسيم موصيري ، وسيمون رولو ، وأصلان قطاوي ، ورالف هراري ، أيضاً ساهم سمحا إمباخ بالاشتراك مع جاك بانكوفتش في تأسيس وإدارة شركة الشرق الأدنى المالية وذلك عام ١٩٣٧م ، وبرأس مال قدره ٥٠ ألف جنيه مصري وفيما يخص سمحاً إمباخ فقد ولد في يافا بفلسطين عام ١٨٩٢م ، وهاجر إلى القاهرة ، وأتم تعليمه الجامعي في فرنسا (جامعة نانسي) ، وكان له نشاطاً تجارياً واسعاً أيضا أسست عائليتي شيكالوريل وناكامولي الشركة المصرية لتوظيف الأموال والتسليف وتولى رئاسة مجلس إدارتها إيزاك ناكامولي ، بينما كان في عضويتها أسماء مثل سلفاتور شيكوريل ، سيمون رولو ، والبيرناكامولي وهكذا يتضح مدى ما وصلوا إليه من هيمنة ونفوذ مالي ، وكيف أن رأس المال اليهودي يتحرك بحرية وانسيابية في أركان وجنبات الاقتصاد المصري ونتيجة النفوذ المالي لهم ، فقد شاركت عائلات يهودية في تأسيس بنك مصر ،

وظهرت أسماء «شيكوريل» و «موصيري» ضمن الأعضاء المؤسسين لشركاته وكان مجلس إدارة بنك مصر لا يخلو من عضوين على الأقل من اليهود[١].

تجارة القطن :

تعد تجارة القطن من الأعمال التجارية الرائجة التي مارسها اليهود المصريين وذلك في كل مراحله بداية من زراعته مروراً بعمليات الحلج والكبس واستخراج الزيوت من بذوره وانتهاء بعمليات تسويقيه عالمياً من خلال البورصة وشركة التصدير وفي هذا الصدد يشير التقرير السنوي للمندوب السامي البريطاني ١٩٠٥م على أن أكثر من ٩٠٪ من سماسرة القطن في البورصة كانوا من اليهود وأن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت بأيدي اليهود فإذا أدركنا أن القطن هو السلعة الاستراتيجية والتي ارتبط بها الاقتصاد المصري طوال تاريخه وأنه كان يشكل حوالي ٨٨٪ من تجارة مصر الخارجية حتى عام ١٩٥٢م لا تضح لنا بجلاء حقيقة سافرة وهي تحكم يهود مصر ومعهم مجموعة من رجال الاستثمار الأجانب في عصب الحياة الاقتصادية المصرية وفيما يلي أهم الشركات التي أسستها العائلات اليهودية والمرتبطة بالقطن.

ـ شركة التصدير الشرقية:

وقد تأسست بموجب الرسوم الملكي الصادر في ٢٦/ ١٠/ ١٩٢٠[٢] وقد أسستها أسرة (عاداة) ، وهي أسرة ذات أصول فرنسية تمصر بعض أفرادها في الفترة ما بين عام ١٩٢٩-١٩٤٥م وتولت هذه الشركة عمليات شراء القطن وفرزه ثم إعداده للتصدير وبلغ رأس مال هذه الشركة عام ١٩٥٠م ٦٠,٠٠٠ جنيه مصري وصافي أرباحها ٢٠١٦٢ جنيه مصري عن نفس السنة وبمقارنة سريعة بمجرد

---

(1)هيكل ، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٥.

(2) كفافى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦.

النظر بين رقم رأس المال ورقم الأرباح يتضح مدى ما تحققه هذه الشركات لأصحابها من ثروات بمقاييس ذلك العهد.

شركة خليج الوجه القبلي:

تم تأسيسها وإدارتها على يد روبير وجاك رولو وأرمان نعمان وبلغ رأس مالها عند التأسيس ٦٥٠,٠٠٠ جنيه مصري.

شركة الأقطان المتحدة بالإسكندرية :

أسست هذه الشركة أسرة (توربيل) وهي أسرة يهودية فرنسية ، وهي أحدى الشركات الهامة التي احتكرت عمليات التصدير للقطن المصري ومن أبناء هذه الأسرة والذين تولوا إدارة شئون أعمال الشركة أندرية وهنري ورينيه توربيل.

شركة مكابس الإسكندرية :

تأسست هذه الشركة على يد عائلة «شيكوريل» وكان مجلس إدارتها يضم أسماء «أرمان نعمان» و«جوزيف دي فاردا» بالإضافة إلى أبناء عائلة شيكوريل «مورينو» و«ديفيد وليون شيكوريل».

وبالإضافة إلى أسماء الشركات السابقة ، إذا استعرضنا خريطة القطن في ذلك العهد ، فسوف نجد أسماء أخرى عديدة مثل مارك حسان وإبراهام حسون وإيزاك ليفي وبتشيونو وحبيب أريول وكل هؤلاء كانت لهم مصانع لحلج الأقطان ومعاصر لإنتاج الزيوت من بذرة القطن في أغلب مناطق دلتا النيل أيضاً من الأسماء الكبيرة أميل ليفي رئيس بورصة القاهرة عام ١٩٤٨م وأدوارد عرجي والذي كان مديراً لشركة فرغلي للأقطان والتي برزت منذ عام ١٩٤٦م أما شركة على يحي باشا للأقطان فكان مارسيل ميسيكا اليهودي مدير عاماً لها أيضاً استطاعت العائلات اليهودية السيطرة على اتحاد مصدري القطن المصري ، وقاموا بتأسيس بورصة القطن بالأسكندرية وهيمنوا على مجلس إدارتها.

مما سبق يتضح أن القطن المصري لم يخرج عن قبضة اليهود وإذا كانت هناك

كلمة متداولة لعقود وعهود طويلة فيما مضى ، وهي أن القطن هو الذهب الأبيض بالنسبة لمصر فاستكمالا للحقيقة التاريخية ، يجب القول : «أن هذا الذهب الأبيض كان في اليد اليهودية بامتياز».

١-التجارة الداخلية :

فيما يتعلق بالتجارة الداخلية ، كان هناك سيطرة على الغالبية العظمى منها وتوزعت هذه السيطرة فيما بين أورذي بك عمر أفندي وهانو وبن صهيون ، وبن زيون (بنزايون) بالإضافة إلى شيكوريل وشملا وصيدناوي وسيمون أزرت والصالون الأخضر وكذلك محلات داود عدس وكل هذه المحلات والشركات ما زالت تحمل نفس أسمائها حتى الآن واعتمدت إدارة هذه المحلات على الدقة والتنظيم وفنون العرض والتسويق وكان أصحاب محلات شيكوريل يفتخرون بأنهم يقدمون ويوفرون كل احتياجات العائلة المالكة[1] .

ـ الشركات الزراعية

فى مجالات التوسع الزراعى ، ساهم كبار الرأسماليين اليهود بإنشاء العديد من شركات استصلاح الأراضى ، وذلك بعد إصدار القانون الذى سمح بتملك الأجانب للأراضى الزراعية من عام ١٨٥٧م . ومن أهم هذه الشركات ما يلى :-

١- شركة وادى « كوم أمبو » لاستطلاع الأراضى وزراعة المحاصيل النقدية

وهى أحدى الشركات الزراعية الكبيرة والتى تكونت برأس مال يهودى . وتم تأسيس هذه الشركة فى ١٤ ابريل لعام ١٩٠٤م ، وذلك بمقتضى امتياز مدته ٩٠ عاماً .

وبلغ رأس المال المستثمر ٣٠٠,٠٠ جنيه مصرى . والذى تضاعف عدة مرات حتى وصل فى عام ١٩٥١م ١٢٠٠,٠٠٠ جنيه وتأسست هذه الشركة بموجب

(1)هيكل ، مصدر سبق ذكره ،ص ١٥٦ .

عقد تم إبرامه بين كلاً من الحكومة المصرية والسير « أرنست كاسل » وإخوان « سوارس » وبمقتضى العقد تملكت الشركة مساحة قدرها ٣٠,٠٠٠ فدان فى سهل « كوم أمبو » كذلك نص العقد على التزام الشركة بسداد مبلغ ٨٥٠٠ جنيه مصرى على أربع أقساط سنوية. كرسوم تشغيل ومصاريف رى . وتزايدت ملكية الشركة من ٣٠,٠٠ فدان إلى ٧٠,٠٠٠ فدان فى عام ١٩٥٢م . وتم تشكيل مجلس الإدارة اليهودى للشركة من الأسماء لتالية : « روبير رولو » رئيساً . والأعضاء « يوسف أصلان قطاوى » ، و « أرنست كاسل » و « ليون سوارس » ، و « فيلكس ورفائيل سوارس » ، وأبناء قطاوى « هنرى رينيه ، رالف » . واستصلحت الشركة ما يقرب من ٢١٠٠٠ فدان وقامت بعمل العديد من الإنشاءات ، عملت خطوط سكك حديدية لمسافة ٤٨ ك/ م ، وشقت ٥٠ ك/ م من الطريق الزراعية ، وأيضا شقت عدد من الترع والمصاريف لمسافة بلغت ٩١ ك/ م . وعلت شهرة الشركة فى زراعة قصب السكر وتوريده إلى شركة السكر العمومية بالإضافة إلى قيامها بزراعة محاصيل أخرى مثل القطن والعنب[١] .

٢ـ شركة مساهمة البحيرة :

تأسست عام ١٨٨١م برأس مال قدرة ٧٥٠,٠٠٠ جنيه مصرى ، وبلغت جملة المساحات المملوكة لهذه الشركة ١٢٠,٠٠ فدان فى عام ١٩٠٧م . وكان معظم أعضاء مجلس الإدارة للشركة من اليهود الانجليز والفرنسيين ، وكان من ابرز المؤسسين « جوزيف عاداة » ، و « أشيل عاداة » ، و « رينية إسماعلون » ، وتولى رئاسة مجلس إداراتها المستر « ميشيل سلفاجو » وهو رجل أعمال يونانى .

ـ شركات التأمين :

قام الرأسماليين اليهود بتأسيس مجموعة من شركات التأمين مثل شركة

(١)على ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٠ وما بعدها

الإسكندرية للتأمين ، و« وشركة التأمين الأهلية المصرية » وشركة الإسكندرية للتأمين على الحياة .

ـ مجال النقل البرى والبحرى

أسست عائلة « موصيرى » شركة ترام الإسكندرية البلجيكية ، ثم شركة ترام الرمل الإنجليزية . وكذلك (شركة ترام القاهرة البلجيكية) وكذلك شركة سكك حديد الفيوم ، وأسس أسرة سوارس شركة أمنيبوس القاهرة وأسهم «جماكودى كومب» فى تأسيس وإدارة الشركة المصرية للنقل بالسيارات عام ١٩٢٥م ، وساهمت عائلتا قطاوى و « رولو » فى إدارة شركة وابورات البوسته الخديوية ، والتى كانت تسمى فى عهد الخديو سعيد « الشركة المجيدية » ثم تغير اسمها إلى « الشركة العزيزية » فى عهد الخديوى إسماعيل ثم تحولت إلى مصلحة حكومية باسمها الأخير وقامت الحكومة المصرية ببيعها إلى عدد من الشركاء اليهود[1] .

شركة أراضى « الشيخ فضل الله » العقارية

أسست هذه الشركة عائلة « قطاوى » بالاشتراك مع أخرين وبلغت مساحة الأراضى للشركة ٨٨٥٠ فدان وبلغ رأسمالها عام ١٩٤٢م ٦٢٣,٦٠٠ جنيه مصرى ورأس مجلس الإدارة « يوسف قطاوى » . وتولى منصبه المدير العام « إبرامينو أشير » والعضوية كانت للأسماء التالية : أصلان قطاوى ، سلمون نحمياس ، روبير موصيرى ، ليون سوارس ، همبرت موصيرى ، هنرى موصرى .

٤ـ شركة الأراضى الغربية العقارية

تأسست هذه الشركة عام ١٩٠٥ برأس مال ٣٩٧٠٠٠ جنيه مصرى ، وبلغت مساحة الأراضى المملوكة لها عام ١٩٣٢م ، ٥٨٠٠ فدان ووصلت فى عام ١٩٤٨م إلى ٧٦٩١ فدان ، بمحافظة الغربية ، وكان من أبرز المؤسسين « جوزيف عاداة » ،

(1)المصدر نفسه،ص٩١ ومابعدها.

«هنرى موصيرى »، «جويد ليفى » .

وبالإضافة إلى الشركات السابقة ، كان هناك العشرات من الشركات التى تم تأسيسها مثل شركة « صباغى البيضا » التى أسستها عائلة « سموحة » وتولى إدارتها جوزيف سموحة . وهناك « موريس جتينيو » صاحب شركة محلات « جاتينيو » ، والذى احتكر أيضاً تجارة الفحم ومستلزمات السكك الحديدية . كذلك أسس الرأسماليون اليهود (شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصرية » ، وكذلك شركة مطاحن المحمودية « ساكس » ، وأيضاً شركة مضارب الأرز المصرية) بواسطة سلفاتور سلامة ، ورافائيل نحمان ، وشركة (الملح والصودة المصرية) ، وشركة الملح المتحدة المصرية – ليمتد) ، شركة (نسطور جانا كليس للسجاير) . وفى مجال صناعة الاسمنت مصنع (سيجوارت) ، بالإضافة إلى مصنع آخر بالمعصرة جنوب القاهرة ، تم إنشاؤه عام ١٩٣١م . بالإضافة إلى مصنع الطوب الأبيض الرملى بالعباسية وأسست عائلة موصيرى شركة (مصانع النحاس المصرية) . واشتركت عائلتا «قطاوى» ، «موصيرى » فى تأسيس الشركة المساهمة للمحاريث والهندسة) .

ـ مجال الفنادق والخدمات

أسهمت عائلة « موصيرى » فى تأسيس شركة «فنادق مصر الكبرى» وقد أدارت هذه الشركة أكبر الفنادق الموجودة بمصر مثل فندق ميناهاوس ، والكونتنتال ، وفندق سان استيغانو وسافوى ، وكان هناك « شركة الفنادق المصرية » و « شركة فنادق الوجه القبلى » وهما من أبرز شركات البترول في ذلك الوقت.

ـ مجال البترول ومشتقاته

كانت هناك « شركة البترول المصرية » والتى ساهم فى تأسيسها إيلى أميل عدس وشارك فى إدارتها جاكودى كومب وثم تأسست شركة الغاز الأهلية .





الفصل الثالث

النفوذ السياسي ليهود مصر



إذا كانت الطائفة اليهودية فى مصر ، استطاعت أن تحقق نفوذاً وازدهاراً اقتصادياً واسع المدى على الأرض والساحة المصرية ، كما سبق إيضاحه ، فقد ترافق ذلك مع ازدياد النفوذ السياسى لها . وهذا شئ طبيعى ؛ لأن العلاقة بين السياسة والاقتصاد ، هى علاقة وطيدة فى كافة المجتمعات والعصور . كما أن اليهودى بطبيعته وطوال تاريخه ، لا يقنع بالمال فى يديه ، ولكنه دائماً يسعى إلى قصر الحاكم . وهذا ما حدث بالضبط مع اليهود المصريين ، فقد جمعوا الثروات وكدسوا الأموال ، ثم هرولوا إلى قصر الحاكم . ولم يوصد الحاكم أبواب قصره فى وجوهم بل قربهم منه . وأنعم عليهم برتب « الباشوية » و « والباكوية » ، فحصل على لقب الباشوية «يوسف قطاوى» ، و«موسى قطاوى» ، و«فيكتور هرارى» ، و«مزراحى» ، و«بلوم» . بينما حصل على لقب بك العديد من الأسماء منهم «يعقوب قطاوى» ، و«أدولف واصلان» و«ربنية قطاوى» ، و«مراد فرج ليشع» ، و«جوزيف دى بتشيوتو» ، و«سلفاتور شيكوريل» ، و«كليمان شملا» ، و«مارك بيبولوس» ، و«جوزيف وموسى ديشى» ، و«أبرام عادة»، و«رودلف شالوم»[1] . وهذه الأسماء والألقاب توضح مدى العلاقات الوثيقة والمميزة مع الحكام فى مصر من أبناء الأسرة العلوية سواء كان الواحد منهم خديوى أو ملك . وبالطبع هناك دوافع نفسية لدى اليهودى تجعله يقترب من الحاكم ، فقد ترسخت فى الوعى اليهودى ، عبر التاريخ ، مشاعر الإحساس بالضعف والعزلة والخوف والشك ، وأنهم بحاجة دائماً إلى قوة تحميهم ، وتذود عنهم ، بعد ما تخلى الرب عنهم ، وتركهم يعانون « قدر اليهودى » اللعن والكرهية والشتات . وهذه الدوافع النفسية يتم ترجمتها دائماً إلى سلوك سياسى وسياسات عامة ، فمن أهم ملامح سياسة اليهود دائماً هى « التحالف مع الأقوياء » فالصهيونية تحالفت مع بريطانيا والدول الأوروبية من أجل تنفيذ

(1) على ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٩ .

مشروعها على أرض فلسطين ، وعندما انتقلت قيادة العالم إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، تحالفت إسرائيل معها فى صراعها مع العرب منذ قيامها وحتى الآن . ومن هنا ، جاء حرص أبناء العائلات اليهودية فى مصر على توثيق علاقاتهم بأصحاب النفوذ السياسى ، كأمر له مبرراته ، وفى نفس الوقت ، هناك نسق اجتماعى ليس فيه حساسيات أو تعقيدات أو عدائيات . ومن هنا فليس هناك معوقات من أى نوع تجاه الصعود الاجتماعى ، وتم حصول هؤلاء القوم على كافة الحقوق المدنية . وأيضاً تضافرت ثلاثة عوامل رئيسية فى السياق التاريخى لتلك الفترة لتعطى قوة دفع لطلب النفوذ السياسى خصوصاً أن العرض سهلاً وميسوراً . وإذا كان السعر يتحدد بناء على العرض والطلب وفقاً للقوانين الاقتصادية ، ولكن فى هذه الحالة السياسية يوجد طلب ويوجد عرض بدون اسعار . وان كان لابد من وجود المال أو الجدارة الاقتصادية كجواز مرور لبوابة السياسة . والعوامل الثلاثة ، التى نوهنا عنها ، هى بروز الصهيونية العالمية على المسرح الدولى منذ عام ١٨٩٧م ، والثانى هو الاحتلال الإنجليزى لمصر والذى وقع عام ١٨٨٢م ، والثالث ، هو اتساع النفوذ الاقتصادى والثراء للطائفة اليهودية المصرية . وإذا عدنا إلى الجذور ، أو الإرهاصات الأولى لهذا النفوذ . نجد أن محمد على ، رغم انه وفر الحماية لليهود بشكل عام ، من غضب المصريين وأسقط عنهم الجزية ، واستعان بهم فى وظائف الدولة[1] . ولكن لم يعرف عنه أنه ، قرب أحداً من اليهود إليه . أما خليفته الخديوى عباس حلمى الأول ، فقد قرب إليه « يعقوب قطاوى » عميد تلك الأسرة اليهودية الشهيرة ، فعينة مديراً لمصلحة « سك العملة » وقد ظل محتفظاً بهذا المنصب ، فى عهد خلفه الخديوى سعيد . وجاء عهد الخديوى إسماعيل ، والذى كان عهداً سعيداً بالنسبة لليهود ، فعين « يعقوب قطاوى » فى وظيفة

---

(1)د. على شلش ، اليهود والماسون فى مصر ، (القاهرة : كتاب الزهراء ، ١٩٨٦) ، ص ٥٧.

« صراف باشا » أو كبير الصيارفة . وتولى هذا المنصب من بعدة « يعقوب منشة » ومعهما يهود آخرون إلى حاشية القصر . وكانا يشاركان فى بعض الاستقبالات الرسمية للوفود الأجنبية . والأخطر من ذلك ، أن الاثنين أو كل إليهما إسماعيل[1] ، مسألة المفاوضات مع بيوت المال اليهودية للحصول على القروض التى يحتاجها إسماعيل وبالتالى فان الطريق إلى مستنقع الديون ، الذى ضاع وسقط بسببه الخديوى اللامع الواعد، كان يشرف عليه اثنان من العرابيين ولكنهما يهود. وهكذا تم الانفاق والحصول على القروض من بنوك أو بنهايم و « روتشليد » وكذلك بنك « ديبيه ديبشار ». أيضاً يجب الإشارة إلى ان التسهيلات التى أعطاها الخديوى لهما ، هى التى ساعدتهما على تأسيس العديد من البنوك ، وشركات التجارة والصرافة . وجاء عهد الخديوى توفيق ، فنسجت عائلات « قطاوى ، وموصيرى » و« هرارى » و« عاداة » علاقات متميزة مع القصر . وتم فى عهد توفيق ، منح لقب بك إلى « يعوب قطاوى » فى عام ١٨٨٠م ، كأول يهودى ينال هذا اللقب .

وجاء عهد الخديوى عباس حلمى الثانى ، فبرز اسم المحامى والصحفى « مراد فرج ليشع » فاصبح محامى « الخاصة الملكية » بالإضافة إلى توليه رئاسة قلم القضايا بأوقاف قصر عابدين . وبعد ذلك ، تم تعيين أول عضو يهودى فى البرلمان المصرى ، وذلك فى عام ١٩١٣م ، وهو « يوسف قطاوى » بمقتضى « القانون النظامى » والذى بموجبه تم تأسيس الجمعية التشريعية ، ويلاحظ أن « يوسف قطاوى » تولى وزارة المالية عدة مرات ، بالإضافة إلى توليه وزارة المواصلات[2] . وإذا انتقلنا إلى عهد الملك فؤاد ، فيمكن القول أن عهد الملك فؤاد ، كان بمثابة العصر الذهبى لليهود. وذلك لعدة اعتبارات أهمها :-

---

(1)على ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٦ .

(2)سلش ، مصدر سبق ذكره ، ص.٦٢ .

١ـ الاعتبار الأول

ارتباط « يوسف قطاوى » بصداقة قوية بالملك فؤاد ، وكان حريصاً على إثبات إخلاصة وولائه للملك ، بالإضافة إلى أن زوجته « أليس » أصبحت كبيرة وصيفات الملكة « نازلى » وهى نفس الوظيفة التى شغلتها قبلها « فالنتين رولو » يضاف إلى ذلك ، إصدار الملك مرسوماً ملكياً بتعيين « يوسف قطاوى » عضواً بمجلس الشيوخ فى ٣١ يناير عام ١٩٢٧م . ثم عضواً باللجنة المالية فى مارس من نمس العام ، وفى العام التالى ، أصبح رئيسا لهذه اللجنة ، وأصبح عضواً فى العديد من الوفود الرسمية التى كانت تمثل القطر المصرى . وظل يوسف قطاوى عضواً بمجلس الشيوخ حتى عام ١٩٣٨م .

٢ـ الاعتبار الثانى

الدور الكبير والخطير الذى لعبه « الحاخام » حاييم ناحوم أفندى « رئيس الطائفة اليهودية ، والذى كان مؤهلاً له ، بحكم ما كان يتمتع به من مؤهلات وقدرات خاصة . فقد كان ذكياً ، وعالماً ضليعاً ، ولديه معرفة واسعة باللغات الشرقية .

وكان حاخاماً لاستاتنبول ، ولديه علاقات واسعة بكل الدوائر السياسية فى ولايات الدولة العثمانية ، وتم استقدامه إلى مصر ليتولى شئون الطائفة اليهودية ، لم تمضى شهور على قدوم الرجل إلى مصر ، حتى استطاع أن يقيم علاقات وثيقة بالملك فؤاد ، وصار مستشاراً خاصاً له . كان عام ١٩٢٥م ، تاريخ قدوم الرجل من استانبول وحصل على الجنسية المصرية عام ١٩٢٩م، وثم تقدم خطوة أخرى فصار عضواً بمجلس الشيوخ ، ثم أعقبها بأخرى وأصبح عضواً بمجمع اللغة العربية ، وهكذا استطاع أن يقيم شبكة من العلاقات داخل القصر الملكى وخارجه ، أى أنه

اخترق القصر والنخبة السياسية والفكرية فى الدولة على حد سواء وفى نفس الوقت فقد تعهد الحاخام اليهودى بدعم النشاط الصهيونى خلال مقابلته عام ١٩٢٥م مع حاييم وايزمان الزعيم الصهيونى خلال زيارته لمصر[١].

وبالطبع كانت هناك مجموعة من الظروف الملائمة والمساعدة للحاخام اليهودى فى أداء دوره الخطير منها كما ذكرنا ، أن « يوسف قطاوى » أصبح وزيراً للمالية فى أكثر من وزارة ، وكذلك زوجته ، أصبحت كبيرة وصيفات الملكة « نازلى » فى القصر ومنها أن عدداً من اليهود ، دخلوا لعضوية مجلس النواب ومجلس الشيوخ ومثل « رينيه قطاوى » بك و « دى بتشوتو » بك . أيضا أن يهودياً من جنوب أفريقيا هو « أوزوالد فينى » قام بتأسيس شركة الإعلانات الشرقية ، والتى سيطرت بالكامل على سوق الإعلان الناشئ فى مصر ، وأصبح لما نتيجة لذلك نفوذ على الصحف المصرية الوطنية ،وقد أصدرت هذه الشركة عدد من الصحف الإنجليزية والفرنسية منها « الأجبشيان ميل» ، «الأجبشيان جازيت» و «البورصى أجبشيان».

وأخيراً كان هناك فى القصر نفوذ يهودى قوى فإن مدام « سوارس » أصبحت عشيقة للملك فؤاد وهو أمر لاحظة المندوب السامى البريطانى السير بيرسى لورين ، وكتبت عنه أكثر من مرة فى تقاريره إلى لندن[٢].

٣ـ الاعتبار الثالث

عقب صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م ، صرح الملك فؤاد : «أن مصر تنظر بعين العطف إلى قضية اليهود ، وتأمل أن يتحقق أملهم، وتعلن حمايتها لهم»[٣]. أيضاً فى عام ١٩٢٩م وعقب أحداث حائط البراق والتى وقعت بين الفلسطينيين واليهود

(1)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥٢.

(2)هيكل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٥.

(3)على ، مصدر سبق ذكره ، ٦٧.

علق عليها الأمير « محمد على » ، ابن الخديو توفيق ،وشقيق الخديوى عباس حلمى الثانى ، وولى عهد المملكة المصرية فيما بعد ، قائلاً : « إذا كانت المشاكل سببها رغبة اليهود فى الوصول إلى حائط المبكى فى القدس ، فعلى المسلمين فى فلسطين ، أن يبيعوا هذا الحائط إلى اليهود ، بمبلغ مائه ألف جنيه ، وبذلك يريحوا أنفسهم ويريحوا إخوانهم اليهود !!»[1] وهنا ، لابد أن تتراقص أمام أى عقل ، علامات التعجب مع علامات الاستفهام فى دائرة من اللا معقول وقد لا يستطيع العقل البارد ، أن تحملها . وينطبق عليها قول الشاعر العربى :

وليال من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة

إذا طوينا صفحة الملك فؤاد . وجاء عهد الملك « فاروق » فسنجد أنه سار على درب أبيه ، فاستمرت العلاقات الوطيدة بين الملك والحاخام اليهودى حاييم ناحوم افندى وتكررت لقاءات الحاخام مع رئيس الديوان الملكى بالنيابة حسن يوسف باشا ومع الملك فاروق نفسه وفى إحدى المقابلات بين الملك والحاخام اليهودى فى حضور « حسن يوسف باشاً » حاول الحاخام إقناع الملك الشاب بأحقية اليهود فى القدس فقال : « المسيحيون تركوا القدس وذهبوا إلى روما ، والمسلمون غيروا توجههم إليها وولوا إلى مكة ، وأما اليهود فقط بقوا طول العمر يبكون ضياعها». وقد كتب « حسن يوسف » باشا تقريراً عن هذه المقابلة أودع فى سجلات قصر عابدين[2]. وأيضا ، مثل أبيه ، كان للملك « فاروق عشيقات يهوديات ، الأولى « أيرين كيونيللى » ، والثانية « يولندا هامر »[3]. وكانا يعملن بالتنسيق مع الحاخام اليهودى من أجل ترويض صاحب القصر .

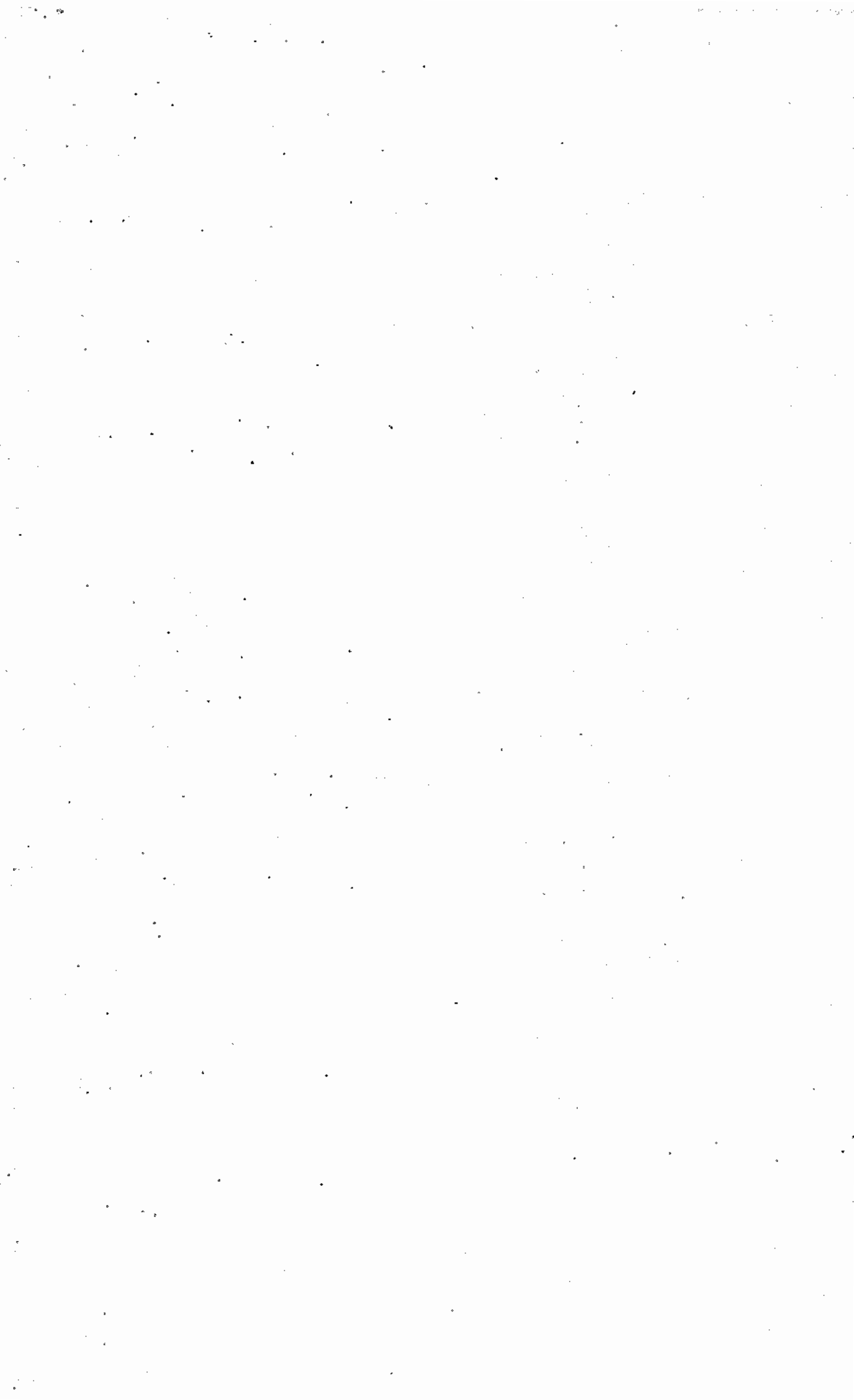
(1)محمد حسنين هيكل ، العروش والجيوش – أزمة العروش وصدمة الجيوش – قراءة مفصلة فى يوميات حرب فلسطين ١٩٤٨م ،(القاهرة : داو الشروق ، عام ٢٠٠٠م) ص٦٨.

(2)هيكل ، المفاوضات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦١ .

(3)المصدر نفسه. الصفحة نفسها .

الحاخام يلجأ إلى الصداقة والإقناع بينما العشيقات يجهزن الفراش والمتعة الحرام . أما باقى العائلات اليهودية ، فكان لهم دور فى خارج القصر . فنادى « السيارات الملكى » مقر سهرات الملك فى القاهرة ومقصد صفوة المجتمع الارستقراطى القاهرى . فكان أبناء العائلات اليهودية : « قطاوى » ، وموصيرى » ، « وعدس » ، و « شيكوريل » ، و « مزراحى » ، يلتقون حول الملك ، ويخسرون له عمداً على موائد القمار ، وفى الإسكندرية يوجد « نادى اليخت الملكى » – أرقى أندية الإسكندرية – وملتقى العائلات اليهودية الشهيرة – صفوة المجتمع السكندرى – مثل عائلات « منشة » ، « رولو » ، و « سوارس » ، و « أجيون » . وهكذا فيما بين القاهرة والإسكندرية وحيثما كانت السهرات وموائد القمار فى نادى السيارات أو نادى اليخت الملكى وسواء كان الملك المسكين داخل القصر أو خارجه . كان هناك شباك منصوبة من بنى إسرائيل وحبائل تم حبكها بأيدى بنى صهيون .







الفصل الرابع

اليهود والصحافة والإعلام في مصر





مثلما حققت الطائفة اليهودية في مصر نفوذاً اقتصادياً طاغياً، ونفوذ سياسي مع كافة أركان النظام السياسي القائم سواء القصر أو المؤسسات أو مع النخبة السياسية الحاكمة للبلاد. أيضاً كان لهم وجود قوي ومؤثر في مجال الصحافة والإعلام. والصحافة في مصر لها تاريخ عريق، وكانت إحدى علامات النهضة الحضارية في المجتمع المصري، وإحدى ملامح التحديث منذ عهد محمد على، وبعد أن عرفت مصر المطبعة مع دخول الحملة الفرنسية إليها، تم صدور أول جريدة مصرية وهى جريدة الوقائع المصرية في عهده. وقد واكبت الصحافة الحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي في مصر وصارت منابر للثقافة والتنوير، وإحدى الأدوات الهامة في صياغة وتشكيل الرأي العام. وفيما يخص العلاقة بين اليهود المصريين والصحافة، كان هناك جانبين: الأول، أن الصحافة صارت ميدانًا وملعباً للنفوذ اليهودي، كما سيتضح لاحقاً. والثاني، أن الصحافة اليهودية ، تم اعتمادها بشكل عام، كمنبر لدعاية الصهيونية، وأبواق للخطاب والنشاط الصهيوني في مصر. أيضاً كان هناك هدفان للصهيونية في مصر من خلال الصحافة وهما:

١- **الهدف الأول:** محاولة التأثير على الرأي العام المصري، والحصول على تأييده للمشروع الصهيوني أو على الأقل تجنيده ومنعه من مناهضة هذا المشروع.

٢- منع اندماج الطائفة اليهودية في المجتمع المصري. وحشدها وراء المشروع الصهيوني، وتوظيف أموالها وإمكانياتها لخدمة الأنشطة الصهيونية. وبالطبع، كانت الصهيونية تدرك، تأثير الكلمة المطبوعة، وتدرك أيضاً قيمة ومكانة مصر، بالإضافة إلى إنها كانت تعرف قيمة الطائفة اليهودية المصرية ومدى ما تتمتع به من قدرات وإمكانيات، يجب تسخيرها وتوظيفها لخدمة الأهداف والمصالح العليا للصهيونية العالمية. ومن هنا تم اتخاذ مصر كمركز للدعاية والترويج للفكرة الصهيونية في الشرق، والحديث عن الصحافة اليهودية ونشاطها في الدعاية للفكرة الصهيونية

يحتاج أولاً، إلى بيان مظاهر وأوجه النفوذ اليهودي في مجال الصحافة الإعلام.

أولاً: مظاهر النفوذ اليهودي في الصحافة:

الصحافة في حقيقتها ليست مجرد خبر أو مقال في جريدة. وليست صحفي أو رئيس تحرير له رأي أو تجاه أو موقف. ولكنها صناعة متكاملة، تحتاج إلى رأس المال والمطبعة والورق والإعلانات بالإضافة على الخبرات والقدرات الإدارية والمهنية. وكان اليهود حريصين منذ البداية على التواجد والسيطرة التدريجية على كل مقومات وأركان هذه الصناعة. وقد أنشأوا في عهد إسماعيل أول مطبعتين الأولي عام ١٨٦٢م والثانية عام ١٨٧١م[1]. وتدريجياً ومع استمرار تغلغلهم في كافة مجالات الحياة المصرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أصبحوا يسيطرون سيطرة شبه تامة على ورق الطباعة، والمطابع، كبريات دور النشر بالإضافة إلى الإعلانات.

وساعدهم على هذه السيطرة، إنشاء شركة الإعلانات الشرقية، والتي كان يرأسها اليهودي «هنرجايم» وأصبحت هذه الشركة تحتكر سوق الإعلانات في مصر. بالإضافة إلى أن الغالبية العظمي من البنوك والشركات والمحلات التجارية والشركات والفنادق وغيرها في يد اليهود. وبالتالي فالمؤسسات الاقتصادية التي ترغب في الإعلان وتدفعه في يد اليهود وشركة الإعلانات هي العمود الفقري للصحافة. ويصعب أو يستحيل على أي مؤسسة صحفية أن تنجح وتستمر بدون إعلانات. وبالطبع تم توظيف ذلك ببراعة، من أجل حجب الإعلانات عن رأي أي مؤسسة تناهض الصهيونية أو تتخذ اتجاها معادياً لها. أو إعطاء الإعلانات لأي جهة تتعاطف أو تؤيد الاتجاه الصهيوني. أيضاً. مدير عام الإعلانات في كلاً من

(١)د. سعيدة حسني ، اليهود فى مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م،ص ٢٩.

الأهرام و دار الهلال. كانا يهوديين وضلعيين في الصهيونية بدرجة أو أخرى[1] ومن هنا، يتضح كيف أن هؤلاء القوم كانوا حريصين على أن تمر كل المياه من تحت القنطرة اليهودية.

ثانياً: الصحافة اليهودية:

إن المتتبع لإصدارات الصحف اليهودية، أو التي يمتلكها اليهود في مصر، منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين، سوف تتملكه الدهشة من سيل الصحف الناطقة باسم الطائفة اليهودية بلغات مختلفة وخاصة الفرنسية والعبرية والعربية، والتي بلغت أكثر من أربعة وخمسين صحيفة[2]، إدراكاً منهم بتأثير الكلمة ومحاولة لإثبات وجودهم على الساحة المصرية العريضة، إلى نشر قضية يؤمنون بها وهى القضية الصهيونية من وجهة نظرهم. وقد ساعدهم على ذلك أن علاقات السلطة المصرية بالصحافة اليهودية كانت إيجابية للغاية بالنسبة لهم، فلم يحدث أي نوع من التضييق أو المصادرة أو تعطيل لأي صحيفة يهودية، رغم أن هذه الصحف كانت تعبر عن النشاط والخطاب الصهيوني بشكل صريح وواضح، وهو شيء إيجابي ونموذجي بالنسبة لهم، ولكنه مؤسف لنا في حقيقة الأمر. الاستثناء الوحيد، كان غلق صحيفة «أبو نضارة» التي كان يصدرها يعقوب صنوع (١٨٣٩-١٩١٢) لاستحداثه شخصية شيخ الحارة، كشخصية كاريكاتيرية، استخدمها بطريقة هزلية في الرمز والنقد للخديوي إسماعيل، مما استدعى نفيه إلى باريس، ولكنه واصل إصدار الصحيفة من هناك باسم « أبو نضارة زرقاء». باستثناء هذه الحادثة فإن غلق أي صحيفة كان مرتبطًا برئاسة الطائفة اليهودية

(1) كفافي، مصدر سبق ذكره، ص١٧٢.

- وانظر أيضاً: عبد الظاهر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وللأسباب التي تراها. ولأغراض الإيضاح والتحليل، يمكن تقسيم الفترة من نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين إلى ثلاثة مراحل زمنية، المرحلة الأولى، من مؤتمر الصهيونية الأول في بـازل السويسرية عام ١٨٩٧م حتى صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م ، والمرحلة الثانية منذ وعد بلفور وحتى قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م، والمرحلة الثالثة وهى المرحلة الحرجة في تاريخ اليهود المصريين من عام ١٩٤٨م وحتى عام ١٩٥٢م.

ـ المرحلة الأولى: (١٨٩٧م ـ ١٩١٧م)

صدرت في هذه الفترة حوالي ١٧ صحيفة يهودية، كان معظمها يصدر بالفرنسية، والبعض منها بالعربية. أهمها جريدة «التهذيب»، والتي صدرت عام ١٩٠١م. والتي أصدرها المحامي اليهودي «مراد فرج ليشع»، والذي كان مقرباً من القصر ومن الخديوي عباس حلمي الثاني. استمرت الجريدة لمدة عامين فقط، وكان اهتمامها بمشاكل طائفة القرائيين ومشاكل اليهود في مصر بصفة عامة. أيضاً أصدرت جمعية «بركوخيا» الصهيونية بالإسكندرية، والتي أسسها الصهيوني «جوزيف ماركو باروخ»، جريدة الرسول الصهيوني، وهى صحيفة كانت تدعو للأهداف الصهيونية صراحة. أيضاً في عام ١٩٠٤م صدرت جريدة «مصر» باللغة العربية وهى صحيفة صهيونية تدعوا إلى التجمع حول أهداف المنظمة الصهيونية العالمية، وضرورة تعريف المصريين بهذه الأهداف ولكن هذه الصحيفة، كانت قصيرة العمر ولم تستمر طويلاً. أيضاً صدرت جريدة «الإرشاد» عن فرج سليم ليشع عام ١٩٠٨ ولم تستمر سوى عام واحد[1].

***

(1)سهام نصار ، اليهود المصريين بين المصرية والصهيونية ، (القاهرة : العربى للنشر والتوزيع) ، (د. ت) ، ص ٥٣ وما بعدها .

ـ المرحلة الثانية: (١٩١٧ـ١٩٤٨)

من المعروف أن وعد بلفور، كان نقطة تحول هام في تاريخ اليهود والصهيونية وكان من أكبر الإنجازات التي حققتها الصهيونية في سعيها لتحويل مشروعها السياسي إلى واقع على الأرض. وقد انعكس ذلك بالطبع على الصحافة اليهودية.

وصارت هذه الفترة من أهم فترات النشاط الإعلامى الصهيونى فى مصر. وقد شجع وعد بلفور اليهود على إصدار مطبوعاتهم الصحفية والتى تعبر عن أهدافهم، و لكنهم حافظوا على إصداراتهم باللغة الفرنسية ، وجسًّا لنبض المصريين وقياس مدى حساسيتهم للكتابات الصهيونية ، وأيضا لأن الكثير من أبناء الطائفة يتحدثون بطلاقة الفرنسية . من أهم هذه الصحف جريدة « النهضة اليهودية » ، واستمرت ثلاث سنوات ، وأيضا « المجلة الصهيونية » ، والتى أصدرها ليون كاسترو منظم الصهيونية فى مصر ومن بعده جاك موصيرى رئيس المنظمة فى مصر . وكانت تدعو بوضوح كامل إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وتكون اللغة العبرية هى لغته الرسمية و عاصمة الدولة هى القدس . و فى عام ١٩٢٠ م، تقدم اليهود خطوة أخرى ، فقد رأوا أنه لابد من إصدار صحف صهيونية باللغة العربية ، فقام « البرت موصيرى » ،و كان عضوا بارزا بالمنظمة الصهيونية فى مصر بإصدار جريدة « إسرائيل »، و ذلك بثلاث لغات هى العربية و العبرية و الفرنسية[1] و كان «ألبرت موصيرى » و زوجته التى تدعى« ماتيلدا » و ابنه مسؤولين عن الطبعة العبرية و الفرنسية في مبنى مستقل ، و فى مبنى مجاور كان يتم إصدار النسخة العربية برئاسة تحرير«سعد يعقوب مالكى». واستمرت الجريدة فى طبعتها الفرنسية حتى عام ١٩٣٩ م ،أما الطبعة العربية فقد استمرت حتى عام ١٩٣٣ م . عام وفاة صاحبها « ألبرت موصيرى » و واجهت زوجته ماتيلدا بعده صعوبات فى

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٦ وما بعدها .

إصدارها . هذا وتعتبر جريدة « إسرائيل » أول جريدة يهودية تصدر باللغة العربية بعد صدور وعد بلفور ، و رغم أن رخصتها كانت صادرة على أنها جريدة دينية للطائفة اليهودية ، إلا أنها تبنت وجهة النظر الصهيونية ،وصارت منبرا إعلاميا للصهيونية ، ودعت صراحة إلى إنشاء الوطن القومى لليهود ، ودعت إلى جمع التبرعات لدعم المشروعات الصهيونية فى فلسطين ، وكانت تنشر الإعلانات الخاصة لشراء الأراضى فى فلسطين عن طريق الوكلاء بالقاهرة ، و كانت تدافع عن الصهيونية وتهاجم من يتعرض لها . و للأسف الشديد لم يستدع هذا انتباه السلطات المصرية ، و لم يلفت نظر الأحزاب السياسية ، وكأن هناك دولة وأمة مغيبة بأكملها . و بعد إغلاق النسخة العربية من صحيفة « إسرائيل » عام ١٩٣٣ م . قام سعد المالكى بإصدار جريدة « الشمس » ، واجتذبت الجريدة من أول عدد أقلام أقطاب و عتاة الصهيونية من أمثال ناحوم جولدمان ، و إيلى ليفى أبو عسل ، وإسرائيل و لفنون المدرس بكلية دار العلوم ، و الذى عمل أستاذا فى الجامعة العبرية فيما بعد .

وأصبحت « الشمس » واجهة للحركة الصهيونية، وبعد فترة، أصبحت الجريدة الأولى التي تتجه إليها الإعلانات اليهودية، وكذلك إعلانات الشركات الصهيونية التي تتاجر في الأراضي في فلسطين. واستمرت جريدة الشمس في تبنيها للخط والاتجاه الصهيوني حتى تم إيقافها في عام ١٩٤٨م بايعاز من جامعة الدول العربية، وأثناء الفترة المضطربة المرتبطة بحرب فلسطين[1] .أيضاً في ٢٠ إبريل عام ١٩٢٤م صدرت مجلة« الاتحاد الإسرائيلي»، ويتتبع الأعداد الأولى، يمكن بسهولة إدراك مراميها الصهيونية،والتدرج الخبيث في عرض مضمون رسالتها. العدد الأول، حمل

(1) نقلاً عن : عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٠ وما بعدها : خطاب الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى مدير المطبوعات ، بخصوص جريدة الشمس ، بتاريخ ١١ مايو ١٩٤٨م . (الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، وثائق غير منشورة) .

صورة افتتاحية للملك فؤاد، للإيحاء بالولاء للسلطة المصرية، العدد الثاني حمل صورة كبيرة « لسعد زغلول»، وكان رئيساً للوزارة آنذاك، أي أن هناك تحية لرأس الحكومة. وفي العدد الثالث، كانت هناك صورة اللورد « بلفور» ونص الوعد. أما العدد الرابع، فحمل صورة «ثيودور هرتزل»[1] .وكانت مجلة « الإتحاد الإسرائيلي» صادرة ومعبرة عن طائفة القرائيين، وأكدت في خطابها الإعلامي على صهيونية القرائين وأنهم مشاركون لإخوانهم اليهود في فلسطين في حلم الوطن القومي لهم، وأنهم مشاركون لهم مادياً وأدبياً، وجادوا بما ملكت أيديهم في سبيل ذلك. وهكذا وجدنا الجرائد والمجلات الصهيونية تتبارى في تأكيد انتمائها الصهيوني دون مواربة أو حجاب تحت سمع وبصر السلطة المصرية التي لم تحرك ساكناً[2]. وكان هناك بالطبع صحف أخرى مثل الكليم والتسعيرة والمنبر اليهودي وغيرها.

ـ المرحلة الثالثة: (١٩٤٨ ـ ١٩٥٤)

لم يصدر في هذه الفترة صحف يهودية جديدة باستثناء جريدة « الصراحة »، والتي أصدرها « ألبرت مزراحي» باسم زوجته عام ١٩٥٠م. واستمرت بعض الصحف والمجلات القديمة في الصدور مثل « التسعيرة» و «الكليم». وقد حرصت «الكليم» على الحديث عن شئون الطائفة وأخبار اليهود بصفة عامة فقط. أما جريدة «التسعيرة » فكان صاحبها ألبرت مزراحي على خلاف مع قيادة الحركة الصهيونية خصوصاً لبون كاسترو واتهمه بالملعب بالنار بعد قيام الصهاينة باغتيال اللورد موين وغيرها من العمليات الإرهابية. والأكثر من ذلك، أنه لام السلطات المصرية على رضائها عن أنشطة الحركة الصهيونية وعدم الضرب بيد من حديد على القائمين عليها، خاصة ليون كاسترو. ورغم ما يؤخذ على ألبرت مزراحي من

(1)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨.

(2)المصدر نفسه ، ص٥٩.

انتهازية واستغلال للخلافات الشخصية مع كاسترو ، إلا أنه يحسب له ، أنه من اليهود الذين كشفوا الوجه الحقيقي للصهيونية أمام الرأي العام المصري[1] .

وشهدت هذه الفترة فصل الختام للصحافة اليهودية في مصر ، حيث توقفت عام ١٩٤٨ ، صحف الشمس والمنبر اليهودي وكذلك مجلة «الكاتب المصري» ، والتي بادر أفراد أسرة هراري بإيقافها بعد أن علموا بالاتجاه الساعي لإيقافها. وفي عام ١٩٥٤م ، توقفت جميع الصحف والمجلات اليهودية ، فيما عدا جريدة «الكليم» والتي استمرت حتى عام ١٩٥٧م ، بسبب عدم خوضها في أي حديث عن الصهيونية واكتفائها بنشر أخبار الطائفة اليهودية.

ـ شخصيات هامة :

١ـ يعقوب صنوع :

هو كاتب صحفي ، وأيضا فنان مسرحي ، ولد لأسرة يهودية مصرية إيطالية في ٩ فبراير ١٨٣٩م ، والدته «سارة» ولدت بحارة اليهود المعروفة بالقاهرة. أما والدة «رفائيل صنوع» فهو من أسرة إيطالية هاجرت إلي مصر ، وتمتعت بالحماية البريطانية منذ عام ١٨٦٣م. تعلم في صباه مبادئ الإسلام وحفظ القرآن الكريم ، ودرس اللغة العربية وآدابها بالإضافة إلي اللغة العبرية. وكان يعقوب صنوع وهو في الثانية عشرة من عمره ، يقرأ القرآن بالعربية والتوراة بالعبرية والإنجيل بالانجليزية . أيضا أتقن اللغات الإيطالية والفرنسية والتركية. عين مدرسا للغات الأجنبية بمدرسة «المهندسخانة» ، وكان عضوا بمحفل (نجمة الشرق) التابع للماسون الإنجليز. أصدر الصحيفة الشهيرة «أبو نضارة زرقاء» وكان عددها الأول بتاريخ ٢١ مارس ١٨٧٧م ، وبتشجيع من الإمام محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغاني ،

---

(١) انظر: نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٢.

مما يدل علي تفاعله مع الحراك الاجتماعي والثقافي والسياسي في مصر في ذلك الوقت. أصدر أيضا عددا من الصحف الأخرى مثل الحاوي ، وأبو صفارة ، وأبو زمارة ، والتودد ، والمنصف . وأخر جريدة أصدرها هي «الأمة الإسلامية» بالفرنسية . وكان أول من استخدم الكاريكاتير بالصورة واللفظ. وكان هذا الكاريكاتير هو سبيله إلي النفي من مصر لفرنسا وإيقاف جريدته التي ذاعت شهرتها «أبو نضارة زرقا» بسبب هجومه اللاذع لسياسات الخديوي إسماعيل ، أيضا ، تحمس يعقوب صنوع لعرابي ورفاقه ، وقد ظل علي صلة بالمراسلة مع عرابي ومحمود سامي البارودي في منفاهما بجزيرة سيلان. ومما كتب له عرابي بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٨٨٤م :

أعترف أنك كنت أول من تعاطف مع الأمة العربية ، لأنك كافحت من أجل قضية الأمة والحرية ثماني سنوات (هي عمر صحف صنوع آنذاك) وقد كانت صحيفتاك الحاوي وأبو نضارة زرقا ، أهم دعم لي في نداء الأمة ونشر أفكار الحرية بين القاصي والداني ، أكرمك الله باسم الأمة »[1] ويمكن بالطبع تفهم حرارة كلمات الزعيم أحمد عرابي تجاه صنوع ، لأن عرابي كان يعاني محنة مركبة ، محنة النفي ، وفشل حركته السياسية ، وأيضا محنة جحود كثير من أبناء وطنه ، والذين اتهموه بأنه كان السبب في مجيء الاحتلال الإنجليزي إلي مصر ، في مقابل مواساة يعقوب صنوع وسؤاله عنه.

ولقد توفي يعقوب صنوع في أكتوبر عام ١٩١٢ ، ودفن في المقبرة اليهودية في باريس. ويعتبر يعقوب صنوع في التقييم النهائي شخصية مثيرة للجدل ، فالبعض يعتبره أول من استحدث فكرة «مصر للمصريين» وأنه كان صديقا لعرابي وكان له دوره البارز في إيقاظ الوعي الوطني لدي المصريين. بينما بعض الكتابات تعتبره صهيونيا ، وأن ذلك بدا واضحا في أخريات حياته عندما شرع في إصدار كتابه

(1)علي، يهودمصر... ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٠.

«أسرار اليهود» ودافع فيه عن اليهود ومكانتهم. وأن يعقوب صنوع أرسل رسالة إلي «حاييم نسيم ملول» في أواخر حياته كانت واضحة في تأييده للصهيونية[1].

٢ـ البرت مزراحي :

اسمه الحقيقي «إبراهام يعقوب مزراحي» ، كان له مكانة اجتماعية متميزة بين الطائفة اليهودية وكان عضوا بنقابة الصحفيين المصرية. من أبرز أعماله إصدار جريدة (التسعيرة) وهي صحيفة سياسية أسبوعية وذلك في ١٧ يوليو عام ١٩٤٤م . وكان علي علاقات وطيدة بفؤاد سراج الدين وزير الداخلية في ذلك الوقت. وكانت الجريدة تهتم بنشر تسعيرة المواد التموينية ، وقد نجحت نجاحا باهرا منذ الأعداد الأولي من صدورها . وبلغ عدد المشتركين حوالي ١١٤ ألف من التجار وأصحاب الشركات. ولكنه توقف عن زيادة الاشتراكات بسبب اتهامات وجهت له بأنه يجبر التجار علي دفع اشتراكات. وقد اهتمت الجريدة أيضا بأخبار الفن والفضائح الشخصية والجرائم المخلة بالآداب بالإضافة إلي الموضوعات الفكاهية الساخرة. وفي عام ١٩٤٦م ، أسس مزراحي مؤسسته الصحفية «وكالة مصر للصحافة» والتي تولت إصدار «التسعيرة» و «الصراحة» ومجلة «المصباح» السينمائية والتي تولي تحريرها الناقد السينمائي «حسن إمام عمر» وفيما يخص النشاط الصهيوني ومشكلة فلسطين ، فكان مزراحى متقلبا ومذبذبا ففي البداية ، وجه سياسة جريدة «التسعيرة» ، وناشد من خلالها اليهود المصريين بالابتعاد عن مشكلة الوطن القومي لليهود في فلسطين ، حتى لا تتأثر علاقتهم بالشعب المصري وحياتهم في مصر. وبعد ذلك بفترة أصبح أحد دعاة الصهيونية ، ومن خلال «التسعيرة» أيضا ، أخذ يدافع عن الصهيونية ، ويهاجم كل من ينتقد الصهيونية وعاد بعد ذلك في انتهازيته ،

(1)خيرية قاسمية ، النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطينى ، ١٩٧٣م، ص ١٠٢.

ونتيجة خلافاته الشخصية مع ليون كاسترو رجل الصهيونية الأول في مصر. وفتح النار علي الصهيونية ونشاطها في مصر، وهاجم العمليات الإرهابية التي تمت في مصر وأشهرها اغتيال الوزير البريطاني في مصر «اللورد موين» وانتقد السلطات المصرية لرضاها وسكوتها عن عقد المؤتمرات الصهيونية وإقامة الجمعيات والمنتديات الصهيونية[1].

أيضا كشف من خلال مجلته الفنية «المصباح» النشاط الصهيوني في مجال الفن وكيف استطاعت الصهيونية توظيف الفن وإدارته بشكل جيد من أجل التأثير في الرأي العام المصري وخدمة الأهداف الصهيونية. وهو ما سيتم إيضاحه والتعرض له من خلال استعراض نفوذ اليهود في مجال الثقافة والفن في موضعين آخرين من هذا الكتاب. وقد اعتقل ألبرت مزراحي بعد قيام الثورة عام ١٩٥٢م، ثم أفرج عنه بعد فترة وجيزة. وظل في مصر حتي عام ١٩٦٠م، ثم هاجر منها إلي الولايات المتحدة. ويمكن القول أن ألبرت مزراحي كان من الشخصيات اليهودية البارزة والنشطة في المجال الصحفي، وكان له دوره ونصيبه الهام في الصحافة اليهودية. والإيجابية الوحيدة التي تحسب له هو كشفه للأنشطة الصهيونية في مصر أمام الرأي العام في مختلف المجالات ومنها المجال الفني والسينمائي. ولكن بعد فوات الأوان، ويبدوا أن الرأي العام المصري والدولة المصرية، كانت في انتظار يهودي صهيوني، ليقول له ما معناه بعد أن وقعت الواقعة وقامت إسرائيل، «أنكم سكتم، ولم تحركوا ساكناً، وكنتم في غيبوبة وغفلة وسلبية، عندما كانت الصهيونية تتحرك وتعمل تحت شمس النهار» إنه لشيء مضحك ومبكي ويدخل في باب الطرائف والعجائب السياسية لذلك العهد. وينطبق عليه أيضا قول الشاعر العربي:

ولن يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

---

(1) نصار، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

٣ـ مراد فرج ليشع :

هو المحامي والكاتب والشاعر «مراد بك فرج» ، يعتبر من أبرز الشخصيات في طائفة القرائن اليهودية. كان مولده بحارة اليهود في عام ١٨٦٦م ، بحكم النشأة والمكان ، تلقي تعليمه الابتدائي ، بمدرسة أميرية مجانية بالحارة . وكان التعليم بالمدرسة باللغة العربية ، ومدرس اللغة العربية كان أزهريا ، وكان يستشهد بآيات من القران الكريم ،وكان مراد يحفظ هذه الآيات بالإضافة إلي حفظ الأسفار من التوراة وصلوات بالعبرية كان يتلقاها من الحاخام هو وباقي الطلبة اليهود توفي والده وهو في سن الحادية عشرة مما استدعي خروجه من الدراسة تحت ضغط والدته لكي يعمل بحي الصاغة وهي المهنة المتوارثة عن اليهود القرائيين وكانت والدته تزين له هذه المهنة وكيف أنها تجلب الأموال ولكن مراد لم يشعر بميل نحو بريق الذهب وأصر علي الدراسة ونال شهادة إتمام الدراسة الابتدائية وعمل بها «باشكاتب» في مكتب لأحد المحامين وتعلق بدراسة قضايا المكتب وحب القانون ونصحه أستاذه المحامي بدراسة القانون وتعلم اللغة الفرنسية وأجادها في فترة قصيرة والتحق بعدها بمدرسه الحقوق بالمنيرة وتخرج مع الزعيم «سعد زغلول» في دفعة واحدة[1] . وعندما عمل بالمحاماة ذاع صيته وكانت نقطة التحول في حياته هي ارتباطه بعلاقات وثيقة بالخديوي عباس الثاني الذي عينه محاميا للخاصة الملكية ومنحه رتبة البكوية ثم عهد برئاسة قلم قضايا الأوقاف بقصر عابدين لمده بلغت٤ سنوات وأصبح عضوا في اللجنة الملية لطائفة اليهود القرائيين. وعن نشاطه في مجال الثقافة والصحافة ، فقد أصدر ديوان مراد من أربعة أجزاء ، وهو يعتبر أول ديوان لشاعر يهودي باللغة العربية في العصر الحديث. وفي مجال الصحافة ، أصدر جريدة «التهذيب» عام ١٩٠١ ، واهتمت الصحيفة بأخبار الطائفة والأمور الدينية ،

(1)علي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٣ .

ولكنها توقفت عام ١٩٠٣. وأصدرت طائفة القرائيين في عام ١٩٠٨ صحيفة «الإرشاد» ، وشارك مراد فرج فيها مع عدد من الشخصيات اليهودية منهم «أمين منشه» و«بنطوب يهودا» و «موسي يوسف».

واهتمت أيضا بالدعوة والإصلاح والجوانب الدينية والروحية ولكنها لم تستمر طويلا فتوقفت عام ١٩٠٩. أيضا كتب ، مراد فرج في الجرائد اليهودية التي كانت في مصر وأهمها جريدة الاتحاد ، وجريدة الشمس. يتضح من ذلك ، أن مراد فرج كان له نشاطه الطائفي الكبير ، علاوة علي مؤلفاته العديدة في القانون. وقد ارتبط بالنشاط الصهيوني في العشرينيات[١] وتوفي عام ١٩٥٦م . ويلاحظ في هذا الشأن أن لقب «البكوية» وتعيينه كمحامي «للخاصة الملكية» ، وفرص النجاح والارتقاء التي وفرها له المجتمع المصري ، لم تكن مانعا له من الانحياز إلي المشروع الصهيوني ، وهي أمور لها دلالات وإضاءات عن حقيقة الولاء والانتماء لدي هؤلاء القوم.



(1)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧١.





الفصل الخامس

النشاط الفني والثقافي لليهود المصريين

أتاحت فرص الحياة الطبيعية ، لليهود في مصر ، شيوع روح التسامح الديني لدي الشعب المصري مثله مثل كل شعوب الشرق الإسلامي . وحصولهم علي كافة الحقوق المدنية ، كل ذلك أدي إلي تغلغل اليهود في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحياة المصرية. وكما أوضحنا سابقا ، اعتلت العائلات اليهودية الارستقراطية قمة السلم الاجتماعي في مصر ، وعادت حياة «مخملية ناعمه»، وحققت مستوي من الحياة يصعب أن توجد في أي مكان آخر في العالم بمقاييس ذلك العهد. أيضا كان هناك جوانب أخري ، فقد استأثر شباب ونشطاء اليهود بقاعدة المجتمع المصري في التجمعات العمالية ، عندما تولوا تأسيس التنظيمات الشيوعية وقيادة الحركة الشيوعية في مصر.وفيما بين قمة الهرم الاجتماعي وقاعدته ، تواجد اليهود بشكل واضح في ثنايا الطبقة الوسطي . وكان لهم كثير من الوجوه والشخصيات في مجالات الفن والسينما والثقافة . وأيضا جاءت الصهيونية ، لتقوم بتوظيف الفن والسينما والثقافة في خدمة أهدافها ومصالحها العليا ، وأيضا ، للتأثير علي الرأي العام المصري ، وتجعله يتقبل أفكارها ومراميها البعيدة ، أو علي الأقل تحييده وعدم نزوعه إلي رفض أو مناهضة مثل هذه الأفكار. وقد كشف «ألبرت مزراحي» أثناء الفترة التي اختلف فيها مع الصهيونية في مصر ، الكثير من أهدافهم وأفعالهم ، من خلال جريدة المصباح السينمائية ، والتي قام باستئجارها عام ١٩٤٦م ، من صاحبها محمد أمين أحمد ، ووكل إدارتها إلي الناقد الفني المعروف «حسن إمام عمر» ، بينما أسند رئاسة التحرير إلي زوجته «صول مزراحي» . وكانت مقالات مزراحي في المصباح كاشفة للدور الذي قامت به الحركة الصهيونية في مصر للسيطرة علي المجال الفني والسينمائي . وكيف أن هذه السيطرة تمت عبر إنشاء شركات تهيمن علي عناصر ومراحل الإنتاج من الأفلام الخام إلي الإنتاج والتوزيع ودور العرض مثل شركة «جوزي فيلم» المملوكة لجوزيف موصيري ، وشركة

التوزيع التي يمتلكها «إدجار موصيري» . وقد وصلت سيطرة اليهود علي دور العرض في مصر إلي نسبة ٩٠٪[١] وكانت الجامعة العربية قد أصدرت أمر بمقاطعة الشركات الصهيونية في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٥م. وبدأت مصر في تطبيق القرار في أول يناير ١٩٤٦م[٢] . فاحتالت الصهيونية علي هذا القرار بإصدار شركات بأسماء مصرية تذهب في أغلبها لتدعيم الأنشطة الصهيونية[٣] .

وكشفت جريدة «الصراحة» ، والتي مملوكة أيضا «لألبرت مزراحي» ، عن التعاون القائم بين المخرج المصري اليهودي «توجو مزراحي» ، وبعض السينمائيين الصهاينة ، وذلك لعمل دوبلاج باللغة العربية لفيلمين من أوائل أفلام الدعاية الصهيونية في ذلك الوقت ، وهما فيلم «بيت أبي» «Father Home» وفيلم «أرض الأمل» » «Home Land . وكلا منهما يحاول إظهار حق اليهود في العودة إلي أرض فلسطين ، من وجهة نظرهم الباطلة . وعلي الجانب المقابل ، وعلي نفس عادة اليهود ،يحللوا لأنفسهم كل شيء ،ولا يعترفوا للآخرين بأي حق ، قامت القوي الصهيونية بشن حملة مكثفة وحرب شعواء ضد «شركة أفلام الجزيرة العربية» ، والتي أنشأها بعض الفلسطينيين لفضح المخططات والأساليب الصهيونية ، أي محاربتهم بنفس أسلوبها[٤] . أيضا في هذا السياق ، فإن فرقة «الهابيما» المسرحية ، والتي أنشأها اليهود في فلسطين ، كانت لها مواسم في القاهرة ، وكذلك كان الحال مع الفرقة الموسيقية اليهودية «الفيلها رمونيه» ، والتي أصبحت فيما بعد الأوركسترا الأولي في إسرائيل بعد إنشاء الدولة العبرية[٥] .

---

(1)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥ .

(2)حسني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٠.

(3)نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٠.

(4)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٥ .

(5)على ، مصدر سبق ذكره، ص١٤٧ .

* وقد امتد النشاط الثقافي لليهود المصريين متجاوزا مجال الصحافة والإعلام إلي مجالات الفنون ، خاصة السينما والمسرح والموسيقي ، وبرزت أسماء عديدة منهم فرضت نفسها علي الساحة الثقافية والفنية في مصر ،وتفاعل معها المجتمع والشعب المصري بدون أي حساسيات أو مواقف رفض بسبب العقيدة أو الديانة . وفيما يلي استعراض لأهم هذه الأسماء والشخصيات :

١ـ يعقوب صنوع :

ويعده النقاد واضع أسس المسرح في مصر ، بالإضافة إلي أنه أحد رواد الصحافة المصرية وفن «الكاريكاتير» السياسي ، كما سبق إيضاحه . وقد تأثر صنوع بالعروض المسرحية التي كانت تقدمها الفرق الأجنبية علي مسرح حديقة الأزبكية ومنها فرق إيطالية وفرنسية في عهد الخديوي إسماعيل. وقام بتكوين فرقة مسرحية وقام بالتأليف والإخراج لها. ولما بدأت أعماله تظهر إلي النور ، دعاه الخديوي إسماعيل لتقديم عروض خاصة في سراي قصر النيل . وكان أول من استخدم فتيات في التمثيل علي خشبة المسرح ، وكان ذلك له من الغرابة في مجتمع شديد المحافظة في ذلك الوقت. وبلغ إنتاج يعقوب صنوع حوالي ٣٢ مسرحية ، ولقبه البعض بلقب «موليير مصر». وكان من أهم أعماله المسرحية ، مسرحية «البورصة» والتي كانت تتناول عمليات التلاعب في البورصة من قبل الأجانب وسذاجة المصريين . أيضا قدم مسرحية أبو «زيدة البربري» والتي كانت تنتقد فساد الحكام ، وكان هناك مسرحية «الضرتان» والتي أثارت غضب الخديوي إسماعيل ، بالإضافة إلي مسرحيات «راستو وشيخ البلد» و «السلاسل المحطمة» و«الحشائش» و «زبيدة» و «الحلوان» و «الوطن والحرية» [1].

***

(1) المصدر نفسه ، ص١٦٠.

٢ـ داوود حسني :

واسمه الحقيقي «دافيد حاييم ليفي» ، ولد عام ١٨٧١م. ويعتبر أحد رواد التلحين والموسيقي في مصر. وعاصر في نهاية القرن التاسع عشر اثنين من كبار الغناء والتلحين وهما : عبده الحامولي ومحمد عثمان ، وتعلم منهما ، وقد بدأ مطربا ثم اتجه إلي التلحين. وكان غزير الإنتاج ، وقدم أعماله الفنية علي مدار خمسين عاما.

وكانت أعماله مستوحاه من البيئة الشعبية ، فأثرت في الناس ، مثل «قمر له ليالي» و «ليلة في العمر» و «صيد العصاري» وغيرها من الألحان والطقاطيق والتي مازالت موجودة حتى الآن ويعرفها الوسط الفني . ولم يقتصر داوود حسني في أعماله علي الأدوار والطقاطيق إنما اتجه إلي الموسيقي التعبيرية وموسيقي المسرح ، حيث قدم أكثر من ٢٥ أوبريت ومسرحية غنائية أشهرها «معروف الإسكافي» و «صباح» و «ليلة كليوباترة» . وهو الذي قام بتلحين أول أوبرا مصرية بالكامل وهي أوبرا «شمشون ودليلة». وأثبت بذلك قدرة الموسيقي الشرقية علي التعبير عن كل معاني الحياة . وهو ما يتدارسه الباحثون في علم الموسيقي . وتوفي عام ١٩٣٧م[١] .

ومما يحسب لداوود حسني هو دخوله الإسلام ، هو ومجموعة من العاملين في الوسط الفني مثل ليلي مراد وأخيها منير مراد ، ونجمة إبراهيم ، وعمر شلهوب (عمر الشريف)[٢] . وبالتالي فهو لم يتأثر بالصهيونية وأنشطتها الخبيثة ولم يثبت أن له أي علاقة بها . ولكنه تأثر بالمحيط الاجتماعي الذي عاش فيه والتي كانت أعماله الفنية معبرة بصدق عن هذه البيئة وما تزخر بها من معاني راقية وإنسانية. لذلك فهو قد فاز بالاحترام والتقدير حيا وميتا وحتى الآن.

(1) نقلاً عن علي : مصدر سبق ذكره ، روز اليوسف ، مقال في ٧ فبراير ١٩٥٥م بعنوان « خرجوا من دينهم من اجل الحب ».

(2) نصار، مصدرسبق ذكره، ص٨١.

٣ـ ليلي مراد :

هي أيضا من الأسماء التي استحوذت علي حب واحترام الأوساط الفنية والشعب المصري وكان ذلك بالتحديد عام ١٩٤٦م. والدها «زكي مراد» من نجوم الطرب والتلحين لها عدة أشقاء : ملك وسميحة «أسلمت أيضا» ، وإبراهيم وموريس الشهير بـ «منير مراد» والذي أشهر إسلامه أيضا واقترن بنجمة المسرح «سهير البابلي». وقد اقترنت ليلي مراد بالفنان «أنور وجدي» ثم تزوجت بالمخرج السينمائي «فطين عبد الوهاب» وأنجبت منه ابنها «زكي» ثم اقترنت بـ «وجيه أباظة» عضو تنظيم الضباط الأحرار ، ومحافظ القاهرة السابق ورجل الأعمال وأنجبت منه ابنًا يسمي «أشرف» وولداها يعيشان بالولايات المتحدة. من أشهر أفلامها «ليلي» و«ليلي بنت الفقراء» ، «ليلي بنت مدارس» و «شاطئ الغرام» بالإضافة إلي فيلمها الشهير «غزل البنات» والذي حقق نجاحا هائلا.

وقد رحلت ليلي مراد في بداية عام ١٩٩٦م ، وشيعت جنازتها - طبقا لوصيتها - من مسجد السيدة نفيسة رضي الله عنها. وبذلك هي ومعها بعض الأسماء القلائل تمثل استثناء عن الوجه القبيح للصهيونية واليهود المصريين.

٤ـ نجوي سالم :

اسمها الحقيقي «نينات سالم» لمعت في فرقة الريحاني مع أسماء فنية كبيرة مثل ماري منيب ، عادل خيري ، عباس فارس ، شرفنطح . وكانت أمها «ميرفت جودة» تعمل خبيرة أزياء لدي محلات «شيكوريل» المليونير اليهودي المعروف. وقد أشيع أن والدتها كانت علي علاقة صداقة مع «أمين عثمان» أحد السياسيين المصريين المعروفين علي الساحة السياسية المصرية ، والذي كان له كلمته المشهورة «إن مصر وبريطانيا في حالة زواج كاثوليكي ، لا طلاق فيها» والتي كانت سببا في اغتياله ، وهي القضية الشهيرة والتي كان أحد المتهمين فيها الرئيس الراحل «أنور السادات»

. وأن «ليون كاسترو» الزعيم الصهيوني في مصر ، كان علي علم بهذه العلاقة . وقام باستثمارها سياسيا ، لصالح الطائفة اليهودية والحركة الصهيونية في مصر ، حتي يضمن استمرار دعم الدول للجمعيات الصهيونية في ذلك الوقت[1] .

٥ـ راقية إبراهيم :

اسمها الحقيقي «راشيل إبراهام ليفي» ، بدأت حياتها بحي السكاكيني ، كحائكة ملابس لكنها أحبت فن التمثيل ، والتحقت بالفرقة القومية . وقد مثلت عدة أفلام أشهرها «الحل الأخير» ، «سلامة في خير» ، «رصاصة في القلب» ، «ملاك الرحمة» وفيلم «زينب» عن قصة د. محمد حسين هيكل ، وإخراج محمد كريم وشاركها البطولة «يحي شاهين» ، و«فريد شوقي» عام ١٩٥٢م. وقصة زينب يعتبرها النقاد أول قصة مصرية . وأيضا مثلت فيلم «إلي الأبد» في الأربعينيات. وهي تعتبر من الوجوه الصهيونية ، فقد تزوجت من مهندس الصوت «مصطفي والي» وغادرت مصر عام ١٩٥٦م ، إلي الولايات المتحدة ،وعملت بقسم الاتصال والإعلام الخاص بوفد إسرائيل في الأمم المتحدة ، وتمتلك بوتيك لبيع المنتجات والتحف الإسرائيلية في نيويورك . وقد استضافت عدداًمن الوفود الصحفية والفنية المصرية والتي زارت نيويورك عقب عقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وكانت تقيم لهم الولائم الفاخرة[2] ، علي سبيل التطبيع الفني والإعلامي.

٦ـ نجمة إبراهيم :

ولدت نجمة إبراهيم عام ١٩٠٦م. عشقت التمثيل وحياة الفن ، التحقت بالفرقة القومية منذ بدايتها عام ١٩٣٥م. عملت مع عمالقة المسرح المصري : جورج

(1)المصدر نفسه،ص٨١.

(2)هيكل،المفاوضات...، مصدر سبق ذكره ، ص١٥٦ .

أبيض ، عزيز عيد ، فاطمة رشدي . وعملت أيضا مع فرقة الريحاني. من أشهر أعمالها الفنية والتي تعد من علامات السينما المصرية ، فيلم «أسير الظلام» وفيلم «الحرمان» وفيلم «صراع الأبطال» والفيلم الشهير «ريا وسكينة» . تزوجت بالفنان «عباس يونس» وتوفيت عام ١٩٦٨م[١] .

٧ـ إلياس مؤدب :

هو الفنان الكوميدي والذي شارك في العديد من الأفلام ، أمام أغلب نجوم الكوميديا مثل «إسماعيل يس» وغيره . وكان يسكن في حارة اليهود . أحب الغناء والتمثيل ، وكان يعمل منولوجست في الأفراح الخاصة . وكان سر شهرته هو تقليد «اللهجة الشامية» في الأفلام المصرية القديمة. لذلك جاء في أذهان كثير من الناس ، أنه من أصول شامية (سوري أو لبناني)[٢] .

وبالطبع هناك أسماء أخري مثل «كاميليا موسي» و «استر شطاح» و «نظلة مزراحي» ، و«توجو مزراحي» والذي كان من رواد فن السينما ، ولكنه صهيوني النزعة كما سبق إيضاحه وفي مجال إنتاج وتوزيع الأفلام السينمائية برزت شركة «جوزي فيلم» والتي أسسها المليونير اليهودي «جوزيف موصيري» والتي سبقت الإشارة إليها ، وكانت تمتلك وتدير عشرات دور السينما في القاهرة والإسكندرية ، وكذلك شركة توزيع الأفلام لصاحبها «إدجار موصيري» وكذلك «إدوارد ليفي» الذي كان يدير شركة لإنتاج وتوزيع الأفلام بالإسكندرية. وكان الواقع العملي يقول أن ٩٠٪ من دور العرض السينمائي في مصر في أيدي أثرياء يهود.

***

(1)انظر: Bulletine، of the Israeli Acadmemic Center in Cairo، no، 23، June، 1998.P.21-22

(2)علي،مصدرسبق ذكره،ص١٥٤ .

جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية :

أنشأت الطائفة الإسرائيلية في القاهرة عام ١٩٢٥م (جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية) بهدف إحياء التراث التاريخي اليهودي ، وإيقاظ الوعي القومي اليهودي. وقد أنشأ هذه الجمعية وأشرف عليها «الحاخام حاييم ناحوم أفندي» رئيس الطائفة في العام الذي تولي فيه رئاسة الطائفة رسميا. وكان محور الارتكاز الذي تعتمد عليه أنشطة هذه الجمعية. هي الحض علي عدم اندماج اليهود في مصر . ومحاولة إثبات ذلك من خلال الدراسات والأبحاث التي تنتجها الجمعية. وإظهار تاريخ الاضطهاد الذي تعرضت له الطوائف اليهودية. وكانت فكرة الاندماج يروج لها بعض اليهود ، فأرادت الجمعية أن تتصدي لهذه الفكرة ، وتبين أن هناك مسار خاص لليهود عبر التاريخ منفصل عن المجتمع الذي يأويه[1]. وبالطبع كان هناك خطاب براق عن أنشطة الجمعية. تخاطب به الآخرين من قوي وفاعليات المجتمع ، يخفي الغرض الأساسي لها . اتخذت الجمعية مقرا لها في شارع زكي بالتوفيقية بوسط القاهرة ، وهي المنطقة المفضلة لمقار التنظيمات اليهودية علي مستوي الطائفة . واشتملت الجمعية علي ثلاث لجان كما يلي :

١- اللجنة الأولي : (لجنة الجرد)

ومهمتها جرد الكتب والمخطوطات اليهودية والخاصة بتاريخ اليهود في مصر.

٢- اللجنة الثانية : (لجنة المحاضرات)

وتهتم بتنظيم المحاضرات وطبع ونشر المؤلفات عن تاريخ اليهود في مصر .

٣- اللجنة الثالثة : (لجنة العلاقات الخارجية)

وتهتم بالاتصال بالطوائف اليهودية في البلدان الأخري وتوثيق الصلات بهم.

---

(1)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٨.

* وقد تولي رئاسة الجمعية عند إنشائها «يوسف قطاوي» ومن بعده ابنه «رينيه قطاوي». أما الحاخام «حاييم ناحوم أفندي» فكان رئيسا شرفيا لها . وقد شارك في أنشطة الجمعية ، وعقد المحاضرات ، عدد من اليهود المصريين مثل الدكتور إسرائيل ولفنون أستاذ اللغات السامية بكلية دار العلوم ، والذي أصبح أستاذا فيما بعد بالجامعة العبرية بالقدس. ومراد فرج ليشع المحامي والكاتب والمفكر المعروف ، والدكتور ألفريد بلوز مدير الترجمة بوزارة الزراعة والذي تولي سكرتارية الجمعية عام ١٩٣٦م ، وهو حاصل علي درجة الدكتوراه في تاريخ الأدب من جامعة بروكسل عام ١٩٢٧م ، بالإضافة إلي أسماء أخري مثل صامويل جوتين ومراد كامل وغيرهم . وقد شاركت الجمعية في احتفال الطائفة اليهودية بالمئوية الثامنة لموسي بن ميمون الذي كان طبيبا خاصا للقائد «صلاح الدين الأيوبي» ، ويعتبر أحد الفلاسفة اليهود . وقد أقيمت الاحتفالية في دار الأوبرا المصرية تحت رعاية الملك فؤاد. أيضا ، أصدرت الجمعية ، مجلة خاصة بها في عام ١٩٤٧م ، باسم مجلة تاريخ الإسرائيليين في مصر . وقد كتب «رينيه قطاوي» في افتتاحية العدد الأول من هذه المجلة : «إن المجلة نافذة لنشر الأبحاث الخاصة باليهود في مصر ، وأنها سوف تفتح آفاقا واسعة لحياتهم ولماضيهم بين ظهراني الشعب المصري الكريم»[1].

وهي رسائل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ المجيد لوادي النيل السعيد ، الذي يرجع إلي آلاف السنين ، وأوضح أيضا ، أن المجلة سوف تصدر بعدة لغات لاشتراك علماء من اليهود من مصر والخارج في تحريرها . مع إضافة ترجمة موجزة باللغة العربية لجميع الموضوعات حتي تصبح في متناول الشعب المصري . وأضاف

(١) مجلة تاريخ الإسرائيليين فى مصر ، القاهرة : جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية ، طباعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٤٧م ، ص ٣-٥ وما بعدها.
نقلاً عن د. سعيد عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٨ وما بعدها .

قطاوي : «أما منهجنا فإنه يمتد إلي أقصي حدود تـاريخ اليهـود في مصر زمانـا ومكانـا ، ونشوء الطوائف اليهودية المختلفة علي ضفاف النيل ومصيرها منـذ ظهورهـا الأول في عمر آباء بني إسرائيل حتي العصر الحديث». وتجـدر الإشـارة هنـا إلي أن «رينيـه قطاوي» كان عضوا في الجمعيـة الجغرافيـة المصريـة ، ولـه كتـاب ضـخم عـن تـاريخ الخديوي إسماعيل وعصره.







الفصل السادس

النشاط الصهيوني ليهود مصر



مع نهاية القرن التاسع عشر ، وبالتحديد في عام ١٨٩٦م. قدم إلي مصر «جوزيف ماركو باروخ» ونجح في تأسيس أول جمعية صهيونية في مصر بمدينة القاهرة ، حملت اسم «باركوخبا»[1] وتم الاتصال بين هذه الجمعية وتيودور هرتزل أبو الصهيونية ، والذي قدم إلي الإسكندرية والقاهرة في ٢٣ مارس ١٩٠٣م ، وأمضي عدة أيام وغادرها في ٤ إبريل. وكان الهدف الأساسي من زيارة هرتزل ، هو محاولة إقناع المندوب السامي البريطاني (اللورد كرومر) ، والمسئولين المصريين ،بإقامة مشروع استيطاني لليهود في العريش وسيناء ليكون محطة انتقال مؤقتة إلي فلسطين أو مشروع مستديم يستوعب عشرة ملايين يهودي بعد نقل مياه النيل إليه . وقد قوبل هذا المشروع بالرفض من «اللورد كرومر» بسبب صعوبة وحساسية نقل مياه النيل ، وكذلك رفض المسئولون المصريون هذا الأمر . وقد اعتمد هرتزل في اتصالاته علي كبار أقطاب العائلات اليهودية الموجودة بالقاهرة والإسكندرية. وقام هيرتزل بتأسيس جمعية صهيونية تتولي الدعوي إلي مشاريعه بعد سفره ، وكذلك تتولي الترويج للفكرة الصهيونية في مصر. وظلت هذه الجمعية وفروعها نشيطة حتي قيام الحرب العالمية الأولي[2] .

وهكذا قام هيرتزل بوضع بصمته من أجل دفع النشاط والخطاب الصهيوني . وبعد ذلك جاء وعد بلفور ١٩١٧م ، ليعطي قوة دفع هائلة ، ويكون له أثر كبير علي النشاط الصهيوني في مصر. وأصبح اليهود يعملون بالحركة الصهيونية في وضح النهار ، وقامت جماعة «زبرزيون» (جمعية صهيون) بالإسكندرية ، بإنشاء مكتب لتشجيع الهجرة إلي فلسطين والمساهمة في توطينهم . وقام ليون كاسترو بتأسيس أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر بالإسكندرية !! . وشهد عام

(1)حسني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٠.

(2)هيكل ، المفاوضات ... ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٢.

١٩١٨م نشاطا مكثفا للصهيونية . ففي مارس من نفس العام ، حضر «حاييم وايزمان» ، وألقي محاضرة أمام الطائفة اليهودية ، ودعا إلي اعتبار اليهودية والصهيونية شيئا واحدا[١] .

ومن جانبه قام الاتحاد الصهيوني ، بنشر محاضرة وايزمان ، ونشاط بعثته الصهيونية في جريدة «الصهيونية» التي تصدر بالفرنسية . وقد أخذ النشاط الصهيوني منحي بالغ الخطورة ، حيث اجتمعت كل المنظمات اليهودية العاملة في فلسطين في الإسكندرية يوم ١٤ أغسطس ١٩١٨م. وتم ذلك في ضيافة كبار رجال الأعمال الرأسماليين اليهود في مصر. وتولي رئاسة الاجتماع «حاييم وايزمان» والذي كللت جهوده وجهود المنظمة الصهيونية في ذلك الوقت بإعلان وعد بلفور[٢] . أيضا ، ألقي «فيلكس منشة» ، القطب اليهودي المصري البارز ، كلمة في هذا الاجتماع ، حث فيها اليهود للوقوف خلف الصهيونية لتحقيق حلمهم في إقامة دولة إسرائيلية.

وتكونت بمقتضي ذلك ، لجنة أطلقوا عليها ، اللجنة المشايعة لفلسطين (Pro-palestin) . وأصدرت اللجنة منشورا إلي يهود الإسكندرية ، طالبتهم فيه بالاكتتاب ، والمساعدة في جمع التبرعات من أثرياء اليهود ، من أجل إقامة مستعمرات زراعية في فلسطين[٣] .

ـ زيارات الزعماء الصهاينة إلي مصر :

تدريجيا وبمرور الوقت ، أصبحت مصر مركزا رئيسيا للتحرك الصهيوني في

(1)Weisgal، Meyen ، (ed) : the lettens and papers of choim weizman، finstsenies، vol. viii، Israel universities، press، jenusulem. 1977. p 465.

(2)هيكل ، المفاوضات ... ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٤ ومابعدها.

(3)كفافي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤.

المنطقة ومحور ارتكاز لهذا النشاط. ولا يجانبنا الصواب إذا قلنا ، أن مصر أصبحت قِبلة لكل أو غالبية الزعماء الصهاينة ، ويمكن بيان ذلك علي الوجه التالي :

١ـ حاييم وايزمان :

تعددت زيارات الدكتور «حاييم وإيزمان» زعيم المنظمة الصهيونية إلى مصر منذ عام ١٩١٨م وحتى عام ١٩٣٨م وقام الدكتور محمد سعيد عبد الظاهر في دراسته «يهود مصر – دراسة في الموقف السياسي» برصد سبعة زيارات كاييم وإيزمان كما يلي :

١- مارس ١٩١٨م : في أثناء رئاسته للبعثة الصهيونية إلى فلسطين بعد صدور تصريح بلفور.

٢- أغسطس ١٩١٨ : أثناء ذهابه إلى فلسطين لوضع حجر الأساس للجامعة العبرية بالقدس.

٣- نوفمبر ١٩٢٢ : أثناء ذهابه إلى فلسطين.

٤- ديسمبر ١٩٢٢ : أثناء عودته من القدس ، بعد متابعته لمشروع الجامعة العبرية وعقد اجتماع صهيوني كبير ، حضره أكثر من ألفين من اليهود المصريين وعدد من المسئولين في مصر.

٥- إبريل ١٩٢٤م : حيث تقابل مع الملك فؤاد وسعد زغلول وزعماء الطائفة اليهودية في مصر.

٦- إبريل ١٩٢٥م : أثناء عودته من فلسطين بعد افتتاح الجامعة العبرية في القدس وقابل الحاخام «حاييم ناحوم أفندي» .

٧- فبراير ١٩٣٨ : حيث تقابل مع الأمير «محمد علي ولي العهد ومع رئيس الوزراء محمد محمود ، ورئيس الديوان الملكي «علي ماهر»

أما الدكتورة سعيدة حنى في كتابها (يهود مصر) الصادر عن الهيئة العامة للكتاب فقد رصدت ثلاث زيارات فقط.

ويلاحظ في هذا الشأن أن «حاييم وإيزمان» كان حريصاً على مقابلة المسئولين المصريين خلال زياراته المتعددة إلى مصر وعلى رأسهم الملك «فؤاد» الذي تقابل معه عام ١٩٢٤م كما تقابل مع «سعد زغلول» رئيس الوزراء وهنأه على تولية الوزارة وقد حضر هذه المقابلة جوزيف شيكوريل رئيس الاتحاد الصهيوني في مصر ، وليون كاستر عضو الوفد ورئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيوني[١].

وفي آخر زيارة لوايزمان عام ١٩٣٨م قابل العديد من الشخصيات السياسية ، للتخفيف من أثر الأحداث الاضطرابات التي شهدتها الساحة الفلسطينية عقب ثورة ١٩٣٦م الفلسطينية والتي كانت نقطة تحول في إيقاظ الوعي لدى الرأي العام المصري ونبهت قطاعات كثيرة منه لطبيعة الأطماع الصهيونية وحقيقة ما يحدث في فلسطين وبدأ وايزمان مقابلاته مع ولي عهد مصر الأمير «محمد علي» وناقش معه مشروع التقسيم الذي كان مطروحاً على الساحة السياسية والدولية في ذلك الوقت واتفقا على اتباع سياسة توفيقية تحاول جمع العرب واليهود حول المشروع كما تقابل «وايزمان» مع محمد محمود رئيس الوزراء (١٩٣٨م – ١٩٤٠م) وكان «وايزمان» حريصاً على التوقيع في سجل زيارات القصر الملكي بعابدين كلما حضر إلى مصر[٢].

٢ـ ناحوم سولوكوف (١٨٥٩ – ١٩١٦م) :

رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة العالمية ، حضر إلى القاهرة ، وعقد اجتماع مع الملك فؤاد يوم ٨ فبراير كما عقد العديد من الاجتماعات مع أعضاء الطائفة اليهودية وأشرف على زيارته «ليون كاستر» رئيس اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيوني[٣].

***

(1)هيكل ، العروش والجيوش ، مصدر سبق ذكره ،ص ٦٧.

(2) Weisgol، meyen ،op. c.t، pp. 332 – 338.

(3)عبد الظاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧.

٣ـ إسحاق بن زفى :

قام بزيارته لمصر في مارس ١٩٢٢م

٤ـ موشى شرتوك :

هو أول وزير خارجية لإسرائيل ، وثالث رئيس للدولة بعد ذلك كان يزور مصر بصفة دورية ، كل ستة أشهر تقريباً ، وينزل ضيفاً على يعقوب وإيزمان الزعيم الصهيوني المصري.

٥ـ زئيف جابوتنسكى :

زعيم المنظمة الصهيونية الجديدة .

٦ـ آرية الثمان :

خليفة جابو تنكسي فى زعامة المنظمة الصهيونية الجديدة وهو الزعيم الصهيونى المتطرى أيضاً ، في نفس السياق ، في عام ١٩٤٣م أعيد تشكيل المنظمة الصهيونية في مصر تحت اسم «الاتحاد الصهيوني العام» وحضر هذا الاجتماع كل من «ديفيد بن جوريون» «وإسحاق بن زفى» ، الأول أصبح بعد عدة سنوات المؤسس الحقيقي لدولة إسرائيل ، والثاني أصبح فيها بعد رئيساً للدولة أيضاً تولت عائلتا «موصيري ، وقطاوي» ترتيب لقاءات مع ساسة مصريين شارك فيها «ديفيد بن جوريون» بنفسه ، وكذلك شارك فيها «موشى شرتوك» ، و«ناحوم جولد مان» والذي كان رئيساً للمجلس الصهيوني العالمي وكذلك «الياهوساسون» المستشار الشرقي للوكالة اليهودية وبعيداً عن الإدانة للساسة المصريين ، يثور تساؤل هنا حول مغزى كل هذه اللقاءات مع القادة الصهاينة ؟ المغزي من الطرف الصهيوني واضح ومفهوم ولكن ما هو الهدف من ذلك بالنسبة للطرف المصري ؟ هل هو محاولة كبح جماح التيار الصهيوني المندفع؟ أم هو محاولة الوصول إلى حلول وسط ؟ أم هو

محاولة التعرف المباشر على ما يريده هؤلاء القادة الصهاينة لا ندري بالضبط وتبقى الأسئلة قوية رغم مرور الزمن ،وتبقى أيضاً الإدانة لكل هؤلاء الساسة لقد جعلت السياسة المصرية الرسمية ومعها الحركة الوطنية السودانية بنداً ثابتاً في المفاوضات مع الإنجليز ، وواحداً من ضمن أولويتها فلماذا لم تتعامل بجدية مع مشكلة فلسطين مثلما تعاملت مع السودان لقد قال: «مصطفى النحاس» زعيم الوفد يوماً كلمته المشهورة : «تقطع يدي ولا تترك السودان»فلماذا لم يقل واحد من هؤلاء الساسة : «تقطع يدي ولا تترك فلسطين هل السبب أنهم كانوا يعتبرون السودان جزء من القطر المصري ، ومملكة مصر والسودان بينما فلسطين ليست لها هذه الدرجة وقد يقول قائل : أن مصر دخلت حرب ١٩٤٨م من أجل إنقاذ فلسطين ، وهؤلاء الساسة هم الذين وأفقوا على قرار الحرب بغض النظر عن نتيجة هذه الحرب. وهنا يكون السؤال : لماذا تقاعسوا طوال هذه المدة والتي بلغت أكثر من نصف قرن عن التعامل بجدية ومسئولية مع هذه المشكلة ولماذا صارت مصر ، صالة لاستقبال كبار السن من القادة الصهاينة يتحركون بحرية ، ويعملون بحرية ، ويخططون[1] دون إزعاج ، ودون اعتراض ،ودون أي رد فعل ، هذا هو مناط المساءلة الحقيقية لهؤلاء الساسة لماذا تهاونوا وتقاعسوا ولْنَقُلِ تواطئوا طوال تلك السنوات ، حتى اتسع الخرق على الراقع لماذا لم يكن هناك «فيتو» بسياسي من السلطات المصرية والحكومات المتعاقبة طوال نصف قرن ضد الأنشطة الصهيونية الواضحة والعلنية والسافرة فضلاً عن الأنشطة السرية. إن عشرات الوقائع والأمثلة والتي أثبتتها كافة الدراسات والأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع ، وتم التعرض لها في هذا الكتاب ، تصيب المرء بالدوار عن كيف يمكن قبول هذه الأوضاع ، أو التغاضي عنها ، أو مباركتها والتعايش معها . هل هؤلاء القوم كانوا

(1)هيكل ، المفاوضات ... ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٩.

يعيشون في كوكب أو عالم آخره وهل لم يتوافر لديهم الحد الأدنى من الإدراك والبصيرة لكي يستشعروا حقيقة الخطر القادم ؟ أم أننا نحن أبناء الجيل أو الأجيال التي عاصرت الكارثة ونحس بضغط واقع وجود إسرائيل علينا ، بينما هم لم يألفوا ذلك ولم يتخيلوه . لا ندري.

استكمالاً لرحلة الدهشة ، بعد صدور وعد بلفور حتى الثامن نوفمبر ١٩١٧ ، بادر الاتحاد الصهيوني في مصر بعقد اجتماعين في الإسكندرية وبإشراف فرعه هناك الأول بعد يومين فقط من إصدار التصريح في مصرح الهمبرا والثاني في الحادي عشر من نوفمبر في حديقة رشيد وحضره ما بين ٧٠٠٠ – ٨٠٠٠ يهودى من المهاجرين ومن يهود الإسكندرية وكان من ضمن الحضور زعماء الطائفة اليهودية ،وزعماء الاتحاد الصهيوني في مصر والحاخام الأكبر في الإسكندرية كما حضره أحمد زيور باشا محافظ الإسكندرية والذي تولى رئاسة الوزراء فيما بعد مندوباً عن حكومة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء المصري آنذاك وفي نهاية الحفل أنشد الحاضرون نشيد الأصل «هاتيكفاه» وقد كان هذا النشيد هو المارسليز الصهيوني بالنسبة لهم[(١)] أي أن هناك احتفالات يهودية بوعد بلفور في الإسكندرية ومشاركة مصرية رسمية في هذه الاحتفالات ومباركة لهم وهم ينشرون نشيد الأمل

الأحزاب المصرية والصهيونية

سارع كثير من أعضاء الاتحاد الصهيوني إلى الحصول على الجنسية المصرية استجابة لطلب الحاخام الأكبر للطائفة حايم ناحوم والتي سبقت صدور قانون الجنسية عام ١٩٢٩م واستمرت بعده كما اهتم الصهاينة بالانضمام إلى الأحزاب المصرية حتى يكون لهم حضور في مجريات الأحداث ، وتأثير على السياسات الحزبية وبين النخبة السياسية المصرية .

(١)نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥.

١ـحزب الوفد

حرص الصهاينة على الانضمام إلى حزب الوفد، أكبر الأحزاب السياسية المصرية وصاحب الشعبية الكبيرة والذي تم تأسيسه في أعقاب ثورة ١٩١٩م ومن أبرز الأسماء التي حصلت على عضوية الوفد «ليون كاسترو» والذي يعتبر منظم الصهيونية في مصر والذي كان على علاقات شخصية مع سعد زغلول زعيم الوفد ومن الأسماء الصهيونية أيضاً ديفيد حزان، وزكي شويقة المحامي، والبرت مزرا حي الصحفي وإلياس فينير، وفيلكس بن زاقين أيضاً من الأسماء اليهودية البارزة والتي وثقت علاقاتها لسعد زغلول «يوسف قطاوي» حيث جمعت بينهما صداقة منذ عام ١٩١٣م عندما كانا زملاء في الجمعية التشريعية ولكن هذه الصداقة لم تمنعه من الانضمام إلى أحزاب أخرى غير الوفد فقد أنضم إلى حزب الأحرار الدستوريين برئاسة زيور باشا، وبعد ذلك انضم إلى حزب الاتحاد برئاسة يحي إبراهيم وقد خرج يوسف قطاوي من الوزراء عام ١٩٢٦م بسبب تهنئة أرسلها لسعد بعيد الفطر، وهو الأمر الذي أغضب الملك فؤاد الذي كان يريد فرض العزلة على سعد زغلول. أيضاً، انضم إلى الوفد يوسف بيشوتو والذي عينه سعد زغلول عضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٢٤م.

٢ـ حزب الأحرار الدستوريين:

هو ثاني الأحزاب المصرية بعد حزب الوفد من حيث الشعبية والأهمية وقد تميز هذا الحزب بوجود زعامات من الوزن الثقيل سواء كانت سياسية مثل محمد محمود ومحمد علي علوبة أو زعامات ثقافية ليبرالية مثل أحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وغيرهم فيما يخص رئيس الحزب «محمد محمود» فقد أبدى تعاطفاً مع اليهود، وهويري أنهم عناصر فعالة تفيد البلاد[1] بينما نجد محمد علوية باشا، ينحاز إلى

(١) المصدر نفسه، ص٣٥.

الموقف الفلسطيني ويعلن عداءه لليهود . وتعددت تحركاته في هذا الاتجاه فقد أدلى بشهادته أمام لجنة « شو» التي شكلتها الحكومة البريطانية للتحقيق في حوادث حائط البراق عام ١٩٢٩م مديناً بالاستفزازات الصهيونية ضد الفلسطينيين ثم يشارك بعد ذلك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٦م ، لبحث ومناصرة القضية الفلسطينية أيضاً فقد دعا عام ١٩٣٨م لعقد مؤتمر إسلامي لمناصرة الفلسطينيين في محنتهم أثناء ثورتهم الكبرى والتي بدأت عام ١٩٣٦م وقد أثارت موافقة حفظية المنظمة الصهيونية واعتبرته موقفاً عدائياً موجهاً ضد اليهود كلهم[١] ويلاحظ أيضاً أن بعض مثقفي الحزب قد زار فلسطين عند افتتاح الجامعة عام ١٩٢٥م منهم أحمد لطفي السيد ، والذي كانت تربطه علاقات واتصالات مستمرة خلال الثلاثينات مع دكتور «ماجنس» رئيس الجامعة العبرية.

٣ـ حزبا الشعب والاتحاد :

هذان الحزبان معروفان في تاريخ السياسة والأحزاب المصرية انهما من أحزاب القصر لذلك فموقفيها من اليهود ، ينسجم مع موقف القصر الذي أنشأهما وبالتالي كان موقفهما من اليهود موقفاً تسامحياً والأسوء من ذلك أنه يكاد يكون عدائياً أو شبه عدائياً تجاه الفلسطينيين المقيمين في مصر في تلك الفترة وقد بدأ ذلك في شخصية وسلوك «إسماعيل صدقي» زعيم حزب الشعب ، ووزير الداخلية عام ١٩٢٥م في حكومة زيوار باشا فقد أمر باعتقال العديد من الفلسطينيين الذين تظاهروا ضد أرثرجمس بلفور صاحب وعد بلفور الشهير ،والذي زار مصر وهو في طريقه إلى فلسطين لحضور افتتاح الجامعة العبرية في القدس[٢] أيضاً قام «إسماعيل

(1)عواطف عبد الرحمن ، مصر وفلسطين ، الكويت : عالم المعرفة ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٠م ، ص ١١٠.

(2)نصار ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥.

صدقي» بإغلاق جريدة «الشورى» عام ١٩٣٠م ، لصاحبها الفلسطيني محمد علي طاهر ،والذي هاجم الصهيونية ، أثناء أحداث حائط البراق عام ١٩٢٩م.

٤ـ الحركات الإسلامية للإخوان المسلمين – مصر الفتاة

هاتان الحركتان محسوبتان على التيار الإسلامي ، والذي كان بطبيعة الحال ، يعادي المواقف الصهيونية في فلسطين ، وأيضاً يعادي الأنشطة اليهودية على الساحة المصرية . وقد صورت الرعاية الصهيونية هذه الحركات المعادية لها على أساس أنها حركات تعمل على تهديد الوحدة الوطنية وأنها يمكن أن تؤثر على قضية الاستقلال حيث تظهر مصر بمظهر الدولة التي لا تستطيع حماية الأقليات وفي المقابل كانت السلطة المصرية تنظر إلى الصهيونية على أنها رافد من روافد اليهودية ويمكن القول ، أن موقف كلاً من حركة الإخوان المسلمين وحركة مصر الفتاة ، كان موقفا مميزاً نظيفاً وغير ملوث على عكس كثير من القوى والفاعليات السياسية على الساحة المصرية وكان موقفها من الصهيونية نابع عن التزام ديني وقومي وأخلاقي تجاه فلسطين والشعب الفلسطيني والقدس الشريف وهذا الموقف كان معبراً عن الضمير العربي والمسلم عندما يكون سوياً ونقياً بعيداً عن الملوثات السياسية الدنيوية وهذا التقييم الموضوعي المنصف لا يمكن مقارنته بموقف هاتين الحركتين مع موقف الملك فؤاد الذي حاكى موقف «أرثربلفور» وزير الخارجية البريطاني وصاحب الوعد المشهور فإذا كان بلفور ذكر في صدر تصريحه : أن حكومة صاحب الجلالة تنظر بالعطف على إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. فإن الملك «فؤاد» صرح أيضاً بعد فترة وجيزة من صدور وعد بلفور : «أننا ننظر بعين العطف على اليهود حتى يتحقق أملهم ونوفر الحماية لهم» ولا يمكن مقارنة موقف هاتين الحركتين مع موقف الأمير « محمد علي» ولي عهد المملكة المصرية والذي اقترح بيع المسلمين لحائط البراق بمبلغ مائة ألف جنيه حتى يستريحوا ولا يمكن

مقارنة موقف هاتين الحركتين مع موقف إسماعيل صدقي الذي اعتقل الفلسطينيين في القاهرة لأنهم تظاهروا ضد زيارة «بلفور» للقاهرة عام ١٩٢٥م والذي أغلق صحفهم وضيق عليهم عام ١٩٣٠م ولا يمكن مقارنة موقف هاتين الحركتين بموقف التيار الليبرالي الذي جعل الوفد يمنح العضوية لمجموعة من الصهاينة وعلى رأسهم رجل الصهيونية الأول في مصر «ليون كاسترو» ولا يمكن المقارنة مع موقف أستاذ الجيل «أحمد لطفي السيد» والذي كان على علاقات وثيقة مع رئيس الجامعة العبرية وشارك بوفد رسمي في احتفالات الجامعة في القدس عام ١٩٢٥م وتم إلقاء كلمة رسمية في الاحتفال باسم جامعة «فؤاد الأول» المصرية (جامعة القاهرة الآن) وإذا كان هذا هو سلوك وموقف الأستاذ فماذا يفعل التلاميذ ؟ ويمكن القول إجمالا أن الأحزاب السياسية المصرية بمفكريها وزعمائها قد تأثرت بالأفكار التي جاءت نتيجة ثورة ١٩١٩م والتي كانت ترفع شعار «مصر للمصريين» أى ترفع من شأن الوطنية المصرية على حساب القومية العربية ،وهو ما ساهم في انصراف مصر كدولة وسياسة عن الشأن العربي وفي القلب منه المشكلة الفلسطينية وانكفاء مصر وتركيزها الفكري والسياسي على قضية الاستقلال والجلاء فقط ولكن بالرصد للسياق العام والمسار التاريخي للأحداث نجد أن هذه المرحلة لم تدم طويلاً فقد نبهت أحداث البراق عام ١٩٢٩م والثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م وتواجد زعماء من فلسطين في مصر وعلى رأسهم المفتي الشيخ «أمين الحسيني» ونشاطاته وتحركاته لمقاومة الصهيونية وإظهار وجهها القبيح والعدواني كل ذلك أدى إلى كشف حقيقة الأخطار التي تحيق بالأمة العربية والإسلامية من جراء الأنشطة الصهيونية . وقد قام المفتي أيضا بتحذير النخبة والرأي العام من خطورة قيام كيان صهيوني متعصب ملاصق لمصر وأن الخطر لا يلحق بفلسطين وحدها وإنما هو موجه ضد العرب والمسلمين وضد مصالح مصر

نفسها واستكمالاً للرؤية عن طبيعة وحقيقة المعطيات السياسية في تلك الفترة نورد ما قاله شحاته هارون ، وهو محامى مصري يهودي ، وكان عضوا بارزاً في التنظيم الشيوعي المصري والذي تزعمه هنري كوربيل الشيوعي اليهودي المصري والذي كان ناشطا صهيونيا أيضا ، يقول شحاته هارون : « إن ثمة حقائق لا شك فيها من بينها أن الدعوة الصهيونية نشطت في مصر نشاطا كبيرا خلال الثلاثينات والأربعينات بوجه خاص وتحالفت أسباب كثيرة ، كي تجعل السلطات المصرية تتعامى عن هذا النشاط ، الذي يخدم أهدافها » .

ويضيف شحاته هارون عموما كانت الصهيونية في مصر في غاية النشاط وكان يسندها أثرياء الطائفة اليهودية وكانوا بالطبع ذو نفوذ كبير وكذلك يجب أن نضع في الاعتبار أن القوى التقدمية والأحزاب المصرية لم تنتبه لخطر الصهيونية[1] وتكمن أهمية أقوال شحاته هارون أنه يهودي مصري وكان ناشطاً سياسياً ، وعاش في قلب الأحداث.

الإرهاب الصهيوني في مصر

ارتبطت مدرسة العنف والإرهاب الصهيوني باسم «زئيف فلاديمير جابوتنسكي» الزعيم الصهيوني، والذي يعد أبو التطرف في الفكر الصهيوني في العصر الحديث. ويعود إليه، إنشاء التنظيمات العسكرية الصهيونية في النصف الأول من القرن العشرين، بداية من تأسيس الفيلق اليهودى على التراب المصري خلال الحرب العالمية الأولى، وانتهاء بمنظمات «الأرجون» و«اشتيرن»، والتي سطرت صفحات دامية من تاريخ الإجرام الصهيوني في المنطقة، والتي من الصعب

---

(1) فاروق عبد القادر ـ شحاتة هارون ـ يهودي نعم ، يساري نعم ، ولكن الأهم أنني مصري ، المصور (القاهرة) ، العدد ٣٩٩٠ ، مارس ٢٠٠١م ، ص٤٨.

أن ينساها الشعب الفلسطيني وكافة الشعوب العربية. وقد شكل «جابوتنسكي» مساراً جديداً في الحركة الصهيونية، حيث أسس ما سمى بالحركة التصحيحية أو الحركة التنقيحية داخل المنظمة الصهيونية. وكان ذلك عام ١٩٢٥م وجعل مقرها في باريس، وأعلن بوضوح كامل أن هدف الصهيونية هو إقامة الدول اليهودية « Jewish state »، والتي ينبغي أن تشمل حدودها التاريخية أرض فلسطين بما فيها ضفتي نهر الأردن. وقد تأثر بفكرة وخطاب «جابوتنسكي»، الكثير من الصهيونية المتطرفين، والذين لم يعجبهم الأسلوب السياسي المهاون، الذي تتبعه القيادات الصهيونية[١]. وهكذا بدأ خط جديد في الفكر والسلوك السياسي الصهيوني على يد «جابوتنسكي»، يرى ضرورة استخدام القوة وحمل السلاح من أجل تحقيق المشروع الصهيوني، وإنه لا جدوى كبيرة من استخدام الوسائل السلمية والسياسية لبلوغ هدف الصهيونية النهائي. ودبت الخلافات بين «جابوتنسكي» والقيادات الصهيونية، فانفصل نهائياً عن المنظمة الرسمية وأنشأ مظمته البديلة والتي أطلق عليها المنظمة الصهيونية الجديدة (New Zionist Organization)، وكان في باريس يهودى مصري ، يدرس هناك ويسمى « البيراسترا سلسكي» انجذب إلى فكر «جابوتنسكى» وانضم إلى منظمته الجديدة ، وحركته المعروفة بالتصحيحية. وعندما عاد «استراسلسكى» إلى مصر عام ١٩٢٩م، وأسس فرعاً للحركة في مصر[٢]. وفي عام ١٩٣١م قام بتأسيس جريدة «الصوت اليهودي» بتمويل من أثرياء الطائفة اليهودية بالإسكندرية، وبتأييد من حاخام الإسكندرية المدعو «ديفيد

(1) عبد الظاهر ، الصهيونية وسياسة العنف ، زئيف جابوتنسكى وتلاميذه فى السياسة الإسرائيلية ، (القاهرة) : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م ، ص ١٠٢ .

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

براتو». وأصبحت هذه الجريدة، هي صوت الصهيونية المتطرف. ومنبراً لغلاة الصهاينة في مصر. ولكن هذه الجريدة توقفت عام ١٩٣٣م، بسبب سفر «ستراسلسكي» إلى باريس، ليتولى رئاسة صحيفة أخرى هناك. لم يلبث «استراسلسكي» بأن عاد إلى مصر عام ١٩٣٥م، بعد تأسيس المنظمة الصهيونية الجديدة. وأقام فرعاً لها في مصر وبالتحديد في مكتبه في ميدان مصطفى كامل باشا بالقاهرة، ثم أسس فرعين آخرين في الإسكندرية وبورسعيد[1]. وقد استقطبت هذه المنظمة أسماء شخصيات يهودية معروفة بجنوحها الفكري وتطرفها ومن هذه الأسماء ما يلي[2]:

١- ميلكسي بن زاقين، وهو محامي بالإسكندرية، ورئيس الفرع هناك.

٢- أيلي بوليتي، رئيس مكتب جريدة المصري بالإسكندرية.

٣- فيكتور حزام، محامي يهودي.

٤- ناثان هيلمان وموريس هيلمان، تجار مجوهرات بور سعيد .

٥- روفائيل سادوفسكي، مدرس لغة فرنسية.

٦- كاريورونتال موظف بشركة توسكا للكحوليات.

٧- فيتا كوهين.

- في ٥ يوليو ١٩٣٧م، ألقى «جابوتنسكي» محاضرة في فندق سيسل بالإسكندرية أمام الطائفة اليهودية، وذلك بترتيب من «ستراسلسكي» وذلك أثناء زيارته لمصر وهو في طريقه للإدلاء بشهادته أمام « لجنة ليل » والتي كانت مكلفة

(1) المصدر نفسه ، ص ٨٩.

(2) أحمد غنيم ، أحمد أبو كف ، اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧م ، ١٩٤٧،القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٤.

بالتحقيق في أحداث فلسطين في ذلك الوقت. وأوضح «جابوتنسكي» في هذه المحاضرة، معارضته لمشروع التقسيم الذي اقترحته «لجنة بيل» ، وقال: أن الدولة اليهودية يجب أن تشمل حدودها التاريخية فلسطين كلها وشرق الأردن[1].

- توفى «جابوتنسكي» في عام ١٩٤٠م في نيويورك،وخلفه في قيادة المنظمة الصهيونية الجديدة «أريه إلتمان»، وقام إلتمان بزيارة مصر عدة مرات ليتابع أنشطة المنظمة في مصر، وكان يجري اتصالات واجتماعات متعددة مع يهود الطائفة. وفي فبراير عام ١٩٤٤م وفي أثناء زيارة «إلتمان» لمصر، عقد اجتماعاً ضم العديد من الشخصيات اليهودية والصهيونية، أعلن «إلتمان»، أن اليهود إذا لم يستطيعوا تحقيق مطالبهم بالوسائل السلمية، فعليهم اللجوء إلى العنف لتحقيقها[2]. وقد أثار هذا التصريح حفيظة سلطات الأمن المصرية. وقام وكيل وزارة الداخلية في ذلك الوقت «حسن رفعت باشا» باستدعاء «ستراسلسكي» وأبلغه عدم موافقة السلطات على منح ترخيص بإقامة فرع للمنظمة في مصر. وأيضاً تم الاتصال بالسفارة البريطانية وإبلاغ المندوب السامي البريطاني «اللورد كيلرن» للتنسيق بهذا الشأن. ومن هنا يبدو أن الموافقة الرسمية المصرية على النشاط الصهيوني في مصر، كان لها استثناءين، الأول أنشطة منظمة «جابوتنسكي» الجديدة المنشقة عن المنظمة الصهيونية الرسمية، والثاني النشاط اليساري الشيوعي، وهو ما سيتم التعرض له لاحقاً. يمكن القول: أنه قرب نهاية الحرب العالمية الثانية، وعندما بدأ للجميع أن الحرب تضع أوزارها.أصبح النشاط الصهيوني محموماً، ودخل في سباق مع الزمن، من أجل فرض مشروعهم على الجميع، حتى من كانوا حلفائهم، والذين مهدوا لهم الطريق، ويسروا لهم كل شيء. والمقصود بذلك، السلطات البريطانية ورجالها، وقد

(1)عبد الظاهر،الصهيونية...، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.

(2)غنيم ، ابو كف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠.

أصبح عام ١٩٤٤م، هو عام الإرهاب الصهيوني بامتياز، حيث بدأت لغة الرصاص لدى الصهاينة تعبر عن نفسها في فلسطين ومصر والمنظمة عموماً. وإذا توقفنا عند ذلك العام، فسوف نجد أن هناك قائمة اغتيالات متضخمة وناطقة بحجم الإجرام الصهيوني، وهى تشمل ما يلي[1]:

١- في ١٣ مارس ١٩٤٤م، اغتيل وارفن فلتش في رمات حان.

٢- في ٢٦ مارس ١٩٤٤م، قتل الكوناستابل كالي في تل أبيب.

٣- في ١٠ مايو ١٩٤٤م، قتل الكوناستابل جوتافتش في تل أبيب أيضاً.

٤- في ٢٩ سبتمبر ١٩٤٤م، اغتيال المستر ولكنز في القاهرة.

٥- في ١٤ أكتوبر، اغتيال الكونستابل ديو، والمفتش الميجور جين في حيفاً.

- وينضم إلى القائمة، حسن الكرم، أحد النشيطين الفلسطينيين، والذي تم اغتياله في مركز البوليس بالقدس. أما قمة الإرهاب الصهيوني، فقد تمثل في اغتيال وزير الدولة البريطاني «اللورد موين»، وأمام منزله في حي الزمالك بالقاهرة في ٦ نوفمبر ١٩٤٤م، وقبل الدخول في تفاصيل عملية اغتيال «اللورد موين»، توجد عدة ملاحظات هامة على القائمة من الاغتيالات وذلك كما يلي:

أولاً: أن هذه الاغتيالات حدثت في عام واحد، وهو عام ١٩٤٤م. وهذا العام كان يمثل النهايات للحرب العالمية الثانية، واتضحت فيه الصورة والنتيجة النهائية للحرب. ونهايات الحرب لها دلالات عميقة، فهي تعني انتصار الحلفاء، وسقوط النازية الألمانية والفوهرر الألماني «هتلر»، وظهور قوة عالمية جديدة هي الولايات المتحدة. بينما هناك إمبراطورية غابت عنها الشمس أو بدأت تغيب عنها (بريطانيا) بسبب خروجها من الحرب منتصرة، ولكنها منهكة القوى. لذلك لابد من اقتناص الفرص، وتعظيم المكاسب. وفي تلك الإثناء كانت « المسألة اليهودية »

(١) كفافي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨.

و« الهولوكوست » أمور ساخنة وملتهبة على الطاولة السياسية الدولية. ومن هنا كان التيار الجامع للصهيونية، والذي يطيح بكل من يقف أمامه.

ثانياً: أغلب الشخصيات التي اغتيلت لم تكن شخصيات عربية، وهذا يدل على أن النشاط الصهيوني، خرج بشكل كامل عن سيطرة السلطات البريطانية، كما يدل على الحركة الصهيونية، أصبح لها حساباتها الذاتية، التي لا تراعي فيها الآخرين، كما يدل على أنها أصبحت تستند في تحالفاتها على مركز الثقل الدولي الجديد بعد الحرب، وهي الولايات المتحدة الأمريكية. فإذا كان مبدأ «التحالف مع الأقوياء» ثابت ولا يتغير في السياسيات الصهيونية، والتاريخ اليهودي بشكل عام، ولكن الأقوياء يتغيرون، فالقوة ليست مظلة ثابتة، يحتكرها أقوام دون آخرين. ولكنها تخضع لقانون التداول والتغيير.

ثالثاً: حوادث الاغتيال والإرهاب هذه، لم تكن في فلسطين منفصلة عن مصر. ولكن هذه الأحداث، كانت تتم في رقعة جغرافية متصلة، وورائها عقل مدبر واحد وهو «أريك رولو» المسئول عن شبكة «شتيرن» الصهيونية في مصر وفلسطين. وهو المكلف بتنفيذ وتخطيط عمليات الاغتيال والتصفية الجسدية بالمنطقة، خدمة للأغراض والسياسات والمصالح العليا للصهيونية. و«أريك رولو»، هذا هو أحد أفراد أسرة رولو اليهودية المصرية الثرية. وكان صديقاً « لهنري كورييل»، الشيوعي المصري المعروف، ولكن توزيع الأدوار يختلف بينهم حسب مقتضيات السياسة الصهيونية[1].

- وبالنظر إلى ملابسات عملية اغتيال «اللورد موين»، ويتضح عمق واستفحال الخطر الصهيوني، والذي جعل «أحمد ماهر» باشا، رئيس الوزراء المصري وقتها، يعيش أزمة كبرى، بعد أن أعلنت العصابات الصهيونية عن نفسها بالرصاص في

(١) المصدر نفسه ،ص٩٨ ومابعدها.

قلب القاهرة. وهي لم تغتال فرداً أو مواطناً عادياً، ولكنه أحد أعضاء الوزارة البريطانية. وقد أدى الحادث إلى حدوث توتر في العلاقات بين حكومة «أحمد ماهر» باشا والمندوب السامي البريطاني «اللورد كيلرن»، والذي حمل السلطات المصرية مسئولية عدم توفير الحراسة اللازمة للوزير البريطاني، واعتقاده أن منفذي العملية من اليهود المصريين. وهو ما اتضح عدم صحته، حيث أن الوزير البريطاني، طلب بنفسه عدم وجود حراسة، كما اتضح أن منفذي العملية، ليسوا من المصريين.

– وبالنظر إلى خلفيات وتفصيلات الحادث، نجد أن كثرة المناوشات والقلاقل بين الفلسطينيين من جهة، وعصابات « الهاجاناة » و «أشتيرن» و «أرجون زفاي» الصهيونية من جهة أخرى، أقلقت السلطات البريطانية، فأصدرت الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م. وكان الكتاب الأبيض، يتضمن بندين في غاية الخطورة بالنسبة للصهاينة، ويتناقض مع جوهر المصالح لصهيونية وهما:

– **البند الأول:** تحديد عدد المجاهرين برقم ١٧٥ ألف مهاجر يهودي، خلال الخمس سنوات القادمة من تاريخ إصدار هذا الكتاب.

– **البند الثاني:** وضع قيود على شراء اليهود لأراضي يملكها العرب في مناطق معينة.

– والكتاب الأبيض، بما يحويه من تحديد وتحجيم للنشاط الصهيوني، أثار بطبيعة الحال، حفيظة الصهيونية العالمية، وحفزهم لقتل «اللورد موين»، والذي كان وراء فكرة الكتاب الأبيض. وعندما قررت الصهيونية، التخلص من الرجل. تم الترتيب لذلك من خلال عناصر الصهيونية الموجودة في مصر، لتسهيل مهمة اثنين من الشباب الصهيوني وهما «إلياهو بتسوري» وعمره ٢٣ سنة، و«إلياهو حكيم» وعمره ٢٠ عاماً. وكلاهما كان ينتمي لجماعة «شتيرن» الإرهابية المتطرفة، وقاما بتنفيذ ذلك، في ٦ نوفمبر ١٩٤٤م، أمام منزله بالزمالك، والذي كان يستأجره من المليونير

اليهودي «داوود عدس». وقتل «اللورد موين»، ومعه سائقه الخاص، الأومباشي «آرثر فوللر». وكاد الحادث، يقيد ضد مجهول، لولا الصدفة وحدها والتي أوقعت الجناة، بعد أن اشتبه فيهم الكوناستابل «محمد حسن». واستوقفهم فوق كوبري أبي العلا، وكانا يستقلان دراجات ويرتديان ملابس عمال التليفونات[1]، ولم يكن الجانيان من اليهود المصريين، بل دخلا مصر بجوازات سفر مزورة وأسماء وهمية. واعترفا بارتكاب الجريمة، ولكنهما لم يقدما أي معلومات عن مساعدات أو تسهيلات تلقوها من أشخاص آخرين وقال «إلياهو حكيم» في التحقيقات: «أن جماعتنا أشتيرن، هي جماعة القتال من أجل حرية إسرائيل». وقد صدر حكم الإعدام ضدهما في ٢٢ يناير ١٩٤٥م. وقد تم القبض على «روفائيل سادوفسكي» وهو يبكي بحرقة على قبريهما بعد ثلاثة أيام من دفنهما، وقد اعترف بدوره في تسهيل إقامة القاتلين «إلياهو حكيم» و«إلياهو بتسوري»، وأنه قدم لهما السلاح الذي تمت به عملية اغتيال «اللورد موين» وقد حوكم سادوفسكي، وتم الحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات[2]. وفي أثناء مفاوضات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل لإقرار معاهدة السلام. لم ينسى «مناحم بيجين» رئيس الوزراء الإسرائيلي وزعيم منظمة «الأرجون» الإرهابية والتي تفرعت عنها منظمة «شتيرن»، أن يطلب من الرئيس السادات استعادة رفات كلٍ من «إلياهو حكيم» و «إلياهو بتسوري». وقد وافق السادات على ذلك[3]. وأعيد دفنهما في إسرائيل . وقد تنبهت سلطات الأمن المصرية إلى خطورة العمليات الإرهابية الصهيونية. وبناء عليه، أحبطت قوات الأمن محاولة أخرى لجماعة «أشتيرن» لنسف قصر أنطونيادس بالإسكندرية، أثناء

(1) قضية اغتيال اللوردموين وزير الدولة البريطانى – شريط ميكروفيلم ، مركز الدراسات القضائية ص ١٤٤ وما بعدها .

(2) المصدر نفسه .

(3) الأهرام (القاهرة) ، ٨ مايو ٢٠٠٠ .

احتفال توقيع الزعماء العرب بحضور «مصطفى النحاس» رئيس الوزراء، لنص ميثاق جامعة الدول العربية[1]. وكانت الأهداف الصهيونية من ذلك واضحة. خلق جو من الإرهاب وإرسال رسالة مفادها عدم قدرة أحد على وقف الأهداف والمخططات الصهيونية، ونشر روح الإحباط لدى الجميع. وإذا كانت عملية نسف قصر «أنطونيادس»، لم تنجح. لكنها أبرزت بشكل واضح، المدى الذي يمكن أن تصل إليه عمليات الإجرام والإرهاب الصهيونية. وأنه ليس هناك حدود أو خطوط حمراء يمكن تقف عندها.



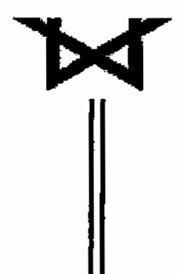
(1) هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٠.

النشـــاط
الصـــهيوني
في مصـــر



الفصل السابع

الفيلق اليهودي



يعتبر موضوع الفيلق اليهودى ، أحد الموضوعات الحساسة والحرجة عند الحديث أو الكتابة عن النشاط الصهيونى فى مصر قبل قيام الدولة الإسرائيلية ، وذلك لأكثر من اعتبار وأكثر من زاوية . الاعتبار الأول ، هو أن هذا الفيلق كان أول إعلان صريح ومكشوف عن التشكيل العسكرى الصهيونى ، وهو أمر كان له ما بعده فى مسار تاريخ المنطقة بشكل عام وفلسطين بشكل خاص ،وأيضا هذا الأمر كان محملاً بدلالات وإرهاصات خطيرة ولكنه كان للأسف بعيد عن الإدراك والوعى السياسى والمجتمعى فى ذلك الوقت . الاعتبار الثانى ، هو أن هذا الفيلق كان النواة الأولى والقاعدة الأولية والتى تم البناء عليها وهيكلة وتشكيل العصابات الصهيونية فيما بعد ، « الهاجاناة » وما تفرع عنها من عصابات « شتيرن » و « وأرجون زفاى » والتى مثلت الذراع العسكرى للصهيونية والتى أوكلت إليها تنفيذ أكبر واقعة فى تاريخ المنطقة ، وهى زرع إسرائيل وضياع فلسطين . الاعتبار الثالث ، أن هذا الفيلق ، كان خط البداية لأكبر معضلة واجهت الكيانات السياسية العربية ، وما زالت تواجهها اليوم ومستقبلاً ، وهى القوة العسكرية الإسرائيلية المتنامية والتى لا سبيل لمجاراتها حتى الآن ولأجل غير معلوم . الاعتبار الرابع ، أن هذا الفيلق مثل عنوان أو جملة افتتاحيه باللون الأحمر لأكبر مأزق سياسى يمكن أن يواجه أى زعيم عربى يفكر فى مناهضة ومقارعة إسرائيل ووضع مشروع لاسترداد فلسطين والقدس الشريف فى المستقبل . وقد اكتوى زعيم عربى كبير (جمال عبد الناصر) ومعه مصر والعرب جميعاً فى الأمس القريب بنيران هذه القوة الصهيونية ، والتى للأسف العميق تم إطلاق شرارتها من فوق التراب المصرى فى بدايات القرن العشرين . الاعتبار الخامس ، وهو الحساب التاريخى الذى لا يرحم ولا يجامل أحداً ، كيف أن عهد بأكمله ودولة بكاملها بكل ما تحويه من حكام وأجهزة ومؤسسات وقادة سياسين وأحزاب ونخبة سياسية وثقافية ، لم تقم بدورها أو مسئولياتها

التاريخية والطبيعية لدرء هذا الخطر ، ومنع هذا التهديد أو القراءة الرشيدة لمعناه ؟ ولو كان هذا النشاط سرياً ، ولو كان هذا الفيلق تنظيماً عسكرياً يعمل تحت الأرض لالتمسنا لهم العذر ، رغم أنه لا يجوز فى عالم السياسة والأمن ، ولخففنا حيثيات الإدانة والمساءلة ، رغم أن مقدرات الأمم والشعوب لا تحتمل أى تخفيف ولا تقبل أى تهوين أو تفريط .

ويرجع تأسيس الفيلق اليهودى إلى أحداث وتفاعلات الحرب العالمية الأولى . وقد تبنى فكرة التكوين العسكرى يهوديان روسيان هما فلا دمير جابوتنسكى ، و « جوزيف ترمبلدور »[1] .

وقد بدأ جابوتنسكى بالإسكندرية ، بتشكيل قوة بوليسية لحفظ النظام بين المهاجرين اليهود الجدد ، والذين تدفقوا بإعداد كبيرة من روسيا مع قيام الحرب يريدون الذهاب إلى فلسطين ، ولكن لأن فلسطين فى ذلك الوقت تابعة لتركيا ، وتركيا هى أحد أطراف الحرب . فقد تم تحويل وجهتهم إلى الإسكندرية بناء على أوامر الوكالة اليهودية . والتى كلفت الطائفة اليهودية بمصر بتدبير احتياجات كل هؤلاء المهاجرين ، وأيضا كان هناك جانب آخر من الهجرة ، عندما قام الوالى العثمانى فى فلسطين عام ١٩١٥م ، بالتضييق على أنشطة المستوطنين اليهود فى فلسطين ومنع الكتابة باللغة العبرية وتجريد أسلحة المستوطنات باعتبار ذلك ضمن الإجراءات الأمنية الوقائية أثناء الحرب . وقد دفع ذلك اليهود الصهانية إلى الهجرة من فلسطين إلى مصر وقامت السلطات المصرية بالترحيب بهم ممثلة فى السلطان « حسين كامل » ورئيس الوزراء المصرى « حسين رشدى » آنذاك ، بدعوى أن هذه اعتبارات إنسانية تجاه هؤلاء اليهود ، وبلغ عدد هؤلاء اليهود المهاجرين ١١٢٧٧ شخصًا ، وزيادة فى الكرم الحاتمى تقرر صرف مبلغ ٨٠ جنيه لكل فرد تم زيادتها إلى

(1) حسني ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٥ وما بعدها.

إلى ١٠٠ جنيه وهو مبلغ كبير بالنسبة لذلك العهد[١] وهكذا تم التنسيق بين قيادة الطائفة اليهودية والسلطات البريطانية مع السلطات المصرية لكى يتم الدخول إلى مصر بشكل رسمى ، وتم إقامة معسكر لهم بالقبارى . ويلاحظ هنا أن الأمر لم يقتصر على معسكرات للإيواء المؤقت ، ولكن تم تطويره وتفعيله سريعاً ، لكى يتحول إلى دورات وأنشطة مكثفة فى اللغة العبرية والتاريخ اليهودى ، ثم الأخطر وهو التدريب والنشاط العسكرى.

وبعد تدريبات شاقة بالإسكندرية ، ذهب اليهود بعد تقسيمهم إلى أربع فرق للانضمام لقوات الجيش البريطانى تحت قيادة الجنرال اللنبى للحرب فى فلسطين فى مارس ١٩١٨م[٢]. واستمرت هذه الفرق فى الاستعراض فى شوارع الإسكندرية ، وكانت تخترق الشوارع من مراكز التدريب فى الورديان وحتى شارع النبى دانيال ، لكى تحصل على البركة من المعبد اليهودى وكان استقبال اليهود فى الإسكندرية لهم حماسياً ، خصوصاً ، أن جزء من هذه الوحدات ، كان يضم أفراداً من تنظيم « الهاجاناة » التى تكونت فى لندن فى ذلك الوقت[٣] وتسجل الوثائق البريطانية ، أن بداية هذا الأمر ، جات فى عام ١٩١٦م ، فى شهر يوليو ، عندما قابل « موسى قطاوى » قائد الطائفة اليهودية ، الجنرال « ماكسويل » القائد العام للقوات البريطانية فى مصر . وطلب منه السماح بتسجيل وتشكيل كتائب يهودية ، لكى تلتحق بجيش الجنرال اللنبى ، عند دخول المعارك ضد الأتراك فى فلسطين والشام . وقد وافق الجنرال « ماكسويل » على ذلك وأعطاهم الفرصة الكاملة للتدريب والتنظيم ، وأكثر من ذلك سمح لهم ، أن يرتدوا قبعات عليها نجمة داوود ، لكى

(1)غنيم ، وأبو كف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ – ٢٢.

(2)حسنى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٩ وما بعدها.

(3)المصدر نفسه ،ص٢.

يكون واضحا أنها كتائب يهودية [1] ويلاحظ فى هذا الشأن ، أن الجنرال اللنبى هو الذى قال كلمته المشهورة عند دخوله القدس عام ١٩١٧م : « الآن انتهت الحروب الصليبية » ، أى أن القضية موصولة عند هؤلاء القوم سياسياً وتاريخياً ودينياً . والحقيقة أن تجربة الفيلق اليهودى جاءت كترجمة لتصور أو رؤية فى ذهن فلاديمير جابوتنسكى (١٨٨٠ - ١٩٤٠م) ، وهو الصحفى الصهيونى ذو الأصل الروسى واحد الشخصيات التاريخية فى الحركة الصهيونية والذى ابتدع مساراً حركياً خاص به وسمى « الصهيونية التصحيحية » أو « الصهيونية التحريفية » كما يسميها البعض . وكان أبرز ملامح فكره ومساره الحركى هو ضرورة تبنى العنف وبناء القوة من أجل الوصول إلى الهدف الصهيونى وكان على خلاف مع الصهيونية الرسمية [2] ما يهمنا فى هذا المقام هو قدوم جابوتنسكى إلى الإسكندرية ابان الحرب العالمية الأولى ، وبادر بتشكيل قوة بوليس لحفظ النظام فى معسكر القبارى عرفت باسم « النوطريم » أى الشرطة.. وذلك ليمنع نشوب صراع أو احتكاكات بين الإشكناز والسفارديم . أيضاً وجدها فرصة سانحة لإخراج تصوره نحو تشكيل قوة عسكرية تعمل إلى جانب الحلفاء.

وفى نفس الوقت فان تشكيل هذه القوة سوف يؤدى إلى انشغال اليهود فى معسكرات الايواء نحو هدف أكبر بدلاً من الاحتكاكات بينهم فى أمور طائفية أو عرقية ، وبادر جابوتنسكى ومعه صديقه جوزيف ترومبلدور ، وهو ضابط روسى متقاعد بالاجتماع بمجموعة من اليهود فى بيت أحد اليهود المصريين يدعى مارجوليس ، يعمل مندوباً لإحدى شركات البترول فى مصر . وقدم جابوتنسكى خلال هذا الاجتماع تصوره عن « الفيلق اليهودى Jewish - leigon » وتمت

(1)هيكل ،المفاوضات، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣ .

(2)عبد الظاهر ،الصهيونية...، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٢ .

الموافقة على اقتراحه بأغلبية خمسة أصوات ضد صوتين وامتناع صوتين عن التصويب ، وفيما يلى نص الترجمة العربية لقرار تشكيل الفيلق بخط يد جابوتنسكى بالعبرية [1].

قرار تشكيل الكتيبة فى الاسكندرية

تفاصيل الاجتماع الذى عقد فى يوم ٢٧ آذار (مارس) ١٩١٥

فى قصر السيد مردخاى مرجيليت بالإسكندرية

الحاضرون : مرجيليت – ليفسون – زئف جلوسكين – زئف جابو تنسكى – جوروديسكى – دكتور فايتس – أطاطينجر – هرارى قابلين وترمبلدور .

وبحث الحاضرون :

موضوع تشكيل كتيبة من المتطوعين العبريين بالإسكندرية من مغتربى فلسطين ، وتضع نفسها تحت امرة حكومة إنجلترا والإشتراك فى الدفاع عن أرض إسرائيل (فلسطين) .

وقد نال هذا المشروع رضا المجتمعين ، ولذلك أعربوا جميعاً عن شكهم فى أن يجدوا بين المغتربين عدداً كافياً من هؤلاء المتطوعين وقد أوضح السيد قابلن الخطر المحدق الذى سيترتب على هذا الأمر للمقيمين فى أوروبا وذكر الدكتور فايتس أنه يجب أن يتم تجميع كتيبة (فيلق) متطوعين من جميع مغتربى العالم ، وذلك بعمل الدعاية فى جميع أنحاء العالم وعدم الاكتفاء بمغتربى فلسطين فقط . وطرحوا المسألة للبحث وعند الاقتراع صوت كل من السادة : أطاطينجر – جلوسكين – جابوتنسكى – مرجليت – ترومبلدبور بالموافقة .

وصوت السادة : فاليس ويلفنون وقابلن بالرفض ، ولم يبد جروديسكى رأيه .

(١)نقلاً عن عبد الظاهر ،يهود...، مصدر سبق ذكره ، ص١٩٧-١٩٨ .

وتقرر أن تشكل كتيبة متطوعين من مغتربى فلسطين ،على أن تكون تحت إمرة حكومة انجلترا والاشتراك فى الدفاع عن أوروبا وقد اختير كل من السادة جلوسكن – جابوتنسكى وترومبلدور لرئاسة اللجنة التأسيسية للكتيبة بصفة مؤقتة :

توقيع :مرجليت توقيع : ليبسون

توقيع :زئف جلوسكين توقيع: دكتور فايتس

توقيع :جابوتنسكيتوقيع : ترومبلدون

توقيع :قابلنتوقيع: اطاطيمجر

وقد بادر خمسمائه يهودى بتسجيل أنفسهم للانضمام للفيلق منهم ٣٥٠ يهودياً من المهاجرين ، و١٥٠ من يهود مصر ، وقد تشكل وفد منهم لمقابلة الجنرال البريطانى «ماكسويل » قائد القوات البريطانية فى مصر ، والذى اقترح عليهم فى البداية اقتراحاً غريباً ، وهو أن يتم تشكيل فرقة لنقل البغال لمساعدة البريطانيين فى قتالهم فى شبة جزيرة جاليبولى (Gallipli) وعين لهم أحد الضباط وهو العقيد جون هنرى باترسون لقيادة هذه القوة ، والذى اشتهر عنه اهتمامه بدراسة العهد القديم والتاريخ اليهودى[1] وقد احتج جابوتنسكى باعتبار « لواء نقل الحمير » يعتبر إهانة لليهود ، ولكن ترمبلدور وبقية اليهود الآخرين وافقوا على هذا الاقتراح وهكذا تشكلت فرقة نقل البغال الصهيونية بجهود كلاً من باترسون وترومبلدور (Zion Mule Conps) وتدربت هذه الفرقة لمدة أسبوعين وقيل : إن البعض منها لم يتدرب قط ، ولكن انضم إليها بعض أبناء الأثرياء اليهود مثل أفرايم وكلود رولو ، وسافرت هذه الفرقة إلى شبة جزيرة جاليبولى فى ١٥ أبريل ١٩١٥م . وكان

(1)أنظر هذا المرجع بالانجليزية:

Payyerson، john ، with the Zionists in gallpli، landon ، huchinson ، 1921، pp. 31 – 34 .

فى وداعها حاخام الإسكندرية « ديلابيرجولا » ومعه كبار رجال الطائفة اليهودية بالإسكندرية[1] .

وبقيت هذه الكتيبة فى جاليبولى حتى مارس ١٩١٦م ، ولكنها لم تحقق نتائج كبيرة ، ومنيت بالعديد من الهزائم نتيجة ضعف القيادة ، وضعف الانضباط وعدم التدريب الجيد . فى تلك الأثناء جاب جابوتنسكى أوروبا حتى استطاع فى النهاية الحصول على موافقة الحكومة البريطانية لتشكيل الفيلق اليهودى بشكله الصحيح ، لكى يشارك فى جبهة فلسطين . وبالفعل تكونت الكتيبة ٣٢ من اليهود البريطانيين والمتطوعين من اليهود فى الجيش الإنجليزى .

وتولى تدريبها العقيد باترسون وقيادتها حسب تكليف وزارة الحربية البريطانية . ووصلت الكتيبة إلى الإسكندرية فى ٢٨ من فبراير عام ١٩١٨م ، وسط احتفالات من جانب اليهود المصريين والذين قابلوها باهتمام بالغ وعندما وصلت الكتيبة إلى القاهرة قابلتها احتفالات مماثلة نظمتها الطائفة اليهودية بالقاهرة وسط بهجة عارمة من أكثر من ٢٠٠٠ يهودى ظلوا يحيطونها أثناء اختراقها لشوارع القاهرة[2] أيضاً تشكلت الكتيبة ٣٩ من يهود أمريكا بجهود من « ديفيد جوريون » و«إسحاق بن زفى » وتولى قيادتها المقدم البريطانى « العازر مارجولين » ، وهكذا وصلت الكتيبتان ٣٨ ، ٣٩ إلى فلسطين فى ٥ من يوليو ١٩١٨م .

وتمكن فى النهاية جابوتنسكى مع باترسون من إقناع الجنرال اللبنى القائد العسكرى لفلسطين من فتح مكاتب للتجنيد فى فلسطين بعد تردد من جانبه ، وهكذا تم تشكيل الكتيبة ٤٠ حملة بنادق ملكية من يهود فلسطين بالإضافة إلى عدد ١٢٠ من جنود فرقة البغال واليهود المصريين وظلت هذه الكتيبة تتدرب فى

Ibid.p, 40 (1)

Ibid.p.68 .(2)

معكسرات الجيش الإنجلزى بالتل الكبير بمحافظة الإسماعيلية حالياً[1]. ويلاحظ هنا أن بعض المؤرخين اليهود قد بالغوا فى الدور الذى قام به الفيلق اليهودى فى الحرب فى فلسطين بجوار قوات الحلفاء رغم أن هذا الدور كان محدوداً ، لأن الكتيبتين ٣٨ ، ٣٩ وصلتا إلى فلسطين فى منتصف يوليو عام ١٩١٨م وتمركزت كلا منهما فى وادى الأردن وفى هذا الوقت كانت العمليات العسكرية قد هدأت فى فلسطين وقاربت الحرب على الانتهاء . أما الكتيبة ٤٠ بنادق ملكية فلم تشترك فى قتال أصلاً لأنها كانت ما تزال فى معسكرات التدريب فى مصر . وبعيداً عن مبالغات المؤرخين اليهود ، فيمكن القول : ان الحقيقة الموضوعية تقول أنه بالرغم من تسريح الفيلق اليهودى إلا أن كوادره كانت هى النواة فى تشكيل عصابات الهاجاناه عام ١٩٢٠ على يد جابوتنسكى أيضا وما تفرع عنها ذلك من عصابات إرهابية مثل « اشتيرن » « ارجون زفاى » والتى مارست الإجرام الصهيونى على اوسع نطاق . والحقيقة الموضوعية تقول أيضا أن هذا الفيلق ، تم تكوينه بدعم ومساندة من السلطات البريطانية ومباركة من اليهود المصريين وترحيب من السلطات المصرية ، وأن وحداته كانت تجوب شوارع القاهرة والإسكندرية وسط احتفالات يهودية صاخبة وإذا علمنا أن ذلك كله تم بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م لأدركنا أننا أمام شعوب مغيبة ، وأمام كيانات سياسية ومجتمعات مسلوبة الوعى والإرادة . هل كل هذا سببه الاحتلال الأجنبى أم أن المسألة أكبر وتتعدى واقع الاحتلال ؟ الحقيقة أن الاحتلال كان يواجه الحركة الوطنية المصرية والتى بدأها مصطفى كامل ومحمد فريد ، واستكملها سعد زغلول والوفد . وبالنظر

(1) انظر أيضاً:

Learsi، ruffus، fulfillment the epic story of amin con zionsm . Detroit، wayne state university ، press، 1961 ، P. 204.

تحليلياً إلى الحركة الوطنية المصرية ، يمكن التفرقة بين مدرستين الأولى مدرسة مصطفى كامل والتى كانت تنظر إلى الوطنية المصرية كدائرة لها ارتباطها الطبيعى بالدولة العلية ، ومجالها الحيوى فى دول الجوار العربى والإسلامى . والمدرسة الثانية هى مدرسة سعد زغلول ورفاقه ، والتى كانت ترفع شعار « مصر للمصريين » . وكان هذا اتجاهاً عاماً فكرياً وسياسياً موجوداً على الساحة واشهر المنظرين له « أحمد لطفى السيد» بعبارة أخرى ، هذه المدرسة تنظر إلى الوطنية المصرية بحيث لا تتعدى أعتاب مصر وهذا معناه تلقائياً انعزال مصر بشأنها الخاص عن محيطها الجغرافى ومجالها الحيوى وارتباطاتها التاريخية وهذا التوقيت بالذات فى الحرب العالمية الأولى ، كان يشهد توارى وذبول مدرسة مصطفى كامل وبروز مدرسة سعد زغلول ولطفى السيد ، بالإضافة إلى ظروف الحرب وسطوة الاحتلال كل ذلك جعل من الهم الوطنى الخاص وقضية الاستقلال هى الأولوية الأولى وما عداها أمور ثانوية قليلة الأهمية وليس أدل على تأثير مدرسة سعد زغلول فى السياسة المصرية من واقعة شهيرة ، عندما طلب عبد الرحمن عزام باشا أول أمين عام لجامعة الدول العربية من مصطفى النحاس زعيم الوفد ورئيس الوزراء فى ذلك ، أن تولى مصر اهتماماً بالدول العربية فقال له : « صفر + صفر يساوى كام يا عزام »[1] وبالطبع فى التقييم النهائى لكلاً من المدرستين فى الوطنية المصرية ، نجد أن المدرسة الأولى أفضل بكثير من المدرسة الثانية .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، جاءت فترة ما بين الحربين ، وواصل النفوذ اليهودى صعوده فى مصر ، بفضل الدور الهام والمؤثر الذى قام به رئيس الطائفة اليهودية الحاخام « حاييم ناحوم » أفندى ، والذى تم التعرض له فى موضع آخر من هذا الكتاب . وجاءت الحرب العالمية الثانية ، ودخل العالم فى آتون الحرب .

ونتيجة أحداث الحرب فى ألمانيا وأوروبا ، عادت أيضاً ، عمليات الهجرة

(1)هيكل ،المفاوضات...، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥ .

اليهودية إلى مصر ، ومثلما حدث فى الحرب الأولى ، تجاوزت الأمور معسكرات الإيواء المؤقت إلى أنشطة مكثفة فى الإعداد والتأهيل الثقافى والعقائدى لليهود فى اللغة العبرية والتاريخ اليهودى ، والتدريب العسكرى ، وأعيد تكوين الفيلق اليهودى ، وهذه المرة ، انتظم إليه أعداد كبيرة من اليهود القادمين من أوروبا . واتخذ الفيلق اليهودى معسكرات تدريبة فى منطقة برج العرب بالقرب من الإسكندرية . وتولى تدريب الفيلق اليهودى ، واحد من أكبر الخبراء البريطانيين فى الحروب الغير تقليدية « حرب المدن وحرب العصابات) وهو الكولونيل « أورد وينجت » وتم ممارسة كافة الأنشطة الصهيونية ، ، تقديم كافة أشكال الدعم لجنود المعسكرات تحت ستار تقديم خدمات الترفيه لجنود الحلفاء . ومرة أخرى وصلت الأمور إلى حد المهزلة وخرجت عن نطاق المعقول ، ووصلت إلى حد يصعب تصوره ، حيث أعطت إحدى الأميرات المصريات ، وهى الأميرة « نازلى حليم » مزرعتها فى المنصورية ، لتكون معسكراً لتدريب شباب هاشومير هاتسعير ، وهى حركة حراس المستعمرات الاستيطانية فى فلسطين[1] . أما الفترة القصيرة والاستثنائية ، والتى توقف فيها النشاط والجهد الصهيونى فى مصر ، فكانت، الفترة التى اقتربت فيها قوات روميل من العلمين . وبدأ فى ذلك الوقت للعيان ، عدم قدرة قوات الحلفاء على صدها . وأيضا نتيجة مناهضة الحركة الوطنية المصرية للاحتلال الإنجليزي ، أكتفت الطائرات الألمانية بقصف الإسكندرية فقط . وبالطبع سادت حالة من الرعب والفزع بين اليهود ، وقام عدد كبير منهم ببيع أملاكه إلى أصدقائهم المصريين بثمن بخس ، حتى يمكنهم الهرب إلى السودان أو جنوب أفريقيا ولكن الفشل الغير متوقع لحملة روميل ، جعلهم يعودون سريعاً ، وبالطبع لم يستطيعوا أن يستردوا ما باعوه ، ولكنهم كانوا أكثر حماساً ورغبة فى مواصلة أنشطتهم الصهيونية .



(1) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .



الفصل الثامن

اليهود والتنظيمات اليسارية





كما سبق التنويه لم يكن هناك اعتراض وتضيق من السلطات المصرية على الأنشطة السياسية لليهود المصريين وفي القلب منها النشاط الصهيوني ولكن كان هناك استثناءين الأول كان ضد أنشطة المنظمة الصهيونية الجديدة والمعروفة بالحركة التصحيحية والتي أسسها جابوتنسكي وكان مسئول عن فرعها في مصر «البيراستراسلسكي والتي اتخذت أسلوب العنف والإرهاب والتي تحدثنا عنها بالتفصيل في موضع سابق وراح ضحيتها اللورد موين الوزير البريطاني في مصر فكان طبيعياً أن تناهضها السلطات المصرية والاستثناء الثاني هو الأنشطة الشيوعية واليسارية وباستعراض التاريخ السياسي للملكية المصرية يتضح أنها اعترضت على الأنشطة الشيوعية وكان هناك حظر سياسي على تلك الملكية، في مقابل السماح بالأنشطة الصهيونية بكل أشكالها سواء جمعيات أو مؤتمرات أو احتفالات أو صحافة ودعاية أو زيارات متعددة لكبار القادة والزعماء الصهاينة ، على مدى نصف قرن ، وهو ما تكفل هذا الكتاب بإيضاحه ونقده الشديد ومعنى ذلك ببساطة أن اليهودى المصري إذا كان صهيونيا فلا بأس ويمكنه أن يتحرك كيفما شاء أما إذا كان اليهودى المصري شيوعيا أو ماركسيا فذلك محظور وسوف يتعرض إلى الملاحقة الأمنية والقانونية وهذا حقيقة ما حدث في ذلك العهد وهو يمثل نوعًا من المفارقة أو التباين تستدعي التأمل والنظر والشاهد أن الصهيونية بما تملكه من براعة وقدرات ودهاء استطاعت أن تسخر وتستخف بهذا التباين وتوظف كلا الأمرين لمصالحها وأهدافها فهي ظلت تلعب في الملعب المفتوح الذي سمحت به السلطات المصرية وفي الوقت نفسه استقطبت الكثيرين من اليهود والذين قادوا الحركة الشيوعية في مصر لكي يلعبوا ويتحركوا ويخدموها في المنطقة المظلمة والمحظورة وكان لسان الحال يقول: إذا كانت التحرك محظور في النهار فلما لا تتحرك بالليل، وإذا كانوا منعونا في وضح النهار وتحت شمس الظهيرة ، فهناك متسع تحت جناح

الظلام وفي سرابيل . الليل هذا هو حقيقة موقف الأطراف المختلفة السلطة الرسمية ، والصهيونية وكوادر الحركة الشيوعية والحقيقة أيضاً أن الموضوع برمته لا بد أن يطرح بطبيعته عددا من الأسئلة على كل من يملك عقلاً أو وعياً وفكراً وهذه الأسئلة التي يمكن أن تأتي فرادى أو مجتمعه تطرح نفسها كالتالي :

السؤال الأول : لماذا كان هناك « فيتو » ضد الشيوعية ولم يكن هناك « فيتو » ضد الصهيونية ؟!

السؤال الثاني : لماذا قامت الحركة الشيوعية على يد اليهود ؟!

السؤال الثالث : هل ثمة علاقة بين الصهيونية والشيوعية أم أن كل حركة فيهما لها مجالها المستقل ومسارها الخاص؟!

السؤال الرابع : هل استفادت الصهيونية من الحركة الشيوعية في مصر أم لا ؟

الحقيقة أنه في محاولة الاجتهاد للإجابة على هذه التساؤلات يمكن القول ان السؤال الأول والذي يتعلق بموقف السلطة الرسمية المصرية والذي طرحناه على أنه يحمل نوعًا من التباين في السلوك السيسي السلطوي المصري ونوعًا من المفارقة في التعامل مع حركات تعمل على الساحة السياسية يمكن تفسيره ورده إلى مجموعة من الاعتبارات والمعطيات المرتبطة بالأطراف المعنية والتي سيتم النظر إليها كما هي في واقعها الذي وقعت به وليس معيارياً وتقييمياً أي أن القلم سيحاول أن يتعامل جاهدا مع « ما يكون » وليس مع « ما يجب أن يكون » لأن ما يكون سوف تحاول القراءة لخلفيات ومواقف الأطراف المختلفة ، أما ما يجب أن يكون فقد أخذت حقها كثيراً في هذا الكتاب كما أنه من السهل إدركها والوصول إليها .

بداية يمكن القول أن السلطات المصرية اتخذت موقف الرفض والحظر السياسي للأنشطة الشيوعية وأعطت « فيتو » له من منطلق ارتباطها بالنظام الرأسمالي العالمي وتبعية تلك لسلطات الاحتلال البريطاني وقصر الدوبارة مقر إقامة المندوب

السامي البريطاني من ناحية وأيضا من منطلق رؤيتها الذاتية التي تنسجم مع طبيعة تكوينها السياسي والاجتماعي الخاص فيما يخص الناحية الأولى، اعتبرت السلطات البريطانية منذ الإرهاصات الأولى للنشاط الشيوعي في العشرينات أن هذا النشاط يمثل خطراً على النظام الرأسمالي وأن وجوده والسماح له بالتواجد والنمو هو خطر وتعدى على أملاكها الخاصة (مصر) من ناحية السياسة والنفوذ والمصالح العليا، وبالتالي لا يصح السكوت على أي تحرك أو فاعليات سياسية من هذا النوع ولذلك اتخذت موقفاً تحريضياً للسلطات المصرية ومبالغًا فيه في كثير من الأحيان، وهو ما سيتضح لاحقا أما السلطات المصرية فمن موقع التبعية السياسية ومن خلال علاقة التابع بالمتبوع اتفقت في الرؤية والموقف مع السلطات البريطانية وتعاملت بجدية ويقظة أمنية مع هذا الأمر، التحليل نفسه ينسحب على الجانب الآخر المتعلق بالنشاط الصهيوني فالسلطات البريطانية والإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس هي الراعي الرسمي السياسي للمشروع الصهيوني وهي تنظر بعين العطف لآمال وتطلعات اليهود في إقامة وطن قومي لهم طبقًا لوعد بلفور وبالتالي وضعت تلك الإمبراطورية، نفسها في موضع الالتزام والمسئولية السياسية تجاههم ومصر باعتبارها من أرض حيازة للإنجليز، وبمنطق وضع اليد وبمنطق الوجود الإمبريالي الكولونيالي الإمبراطوري، لذلك فلن يقبل راسم السياسة وماسك الخريطة سواء في المتروبول في لندن أو في قصر الدوبارة بالقاهرة أي خروج عن طوعه وعندما ظن الملك القاطن في قصر عابدين أنه ملك، وحاول أن يتمرد على وضعيته المحكومة بالمظلة الإستراتيجية الاستعمارية المفرودة على أرض مصر، تم تلقينه درساً مهيناً في حادث ٤ فبراير/ شباط ١٩٤٢م بما يشبه الضرب بالعصا لصبى صغير أيضاً، السياسة البريطانية اعتبرت نفسها منذ عقود خلت أنها الحامية لليهود في كل مكان في العالم ومن هنا، وبحكم هذا الوضع المركب والحاكم للعلاقة

بين حاكم إمبراطوري سواء كان بنفسه أو من ينوب عنه وبين سياسي مصري عربي يدرك حجمه وحجم من أمامه كان منطقياً في ظل هذه العلاقة أن يتغاضى هذا السياسي أيًّا كان شخصه أو موقعه عن أنشطة أبناء صهيون وهنا يمكن أن يأتي التبرير لهذا السياسي نفسياً وفكرياً من خلال وضعية التحجيم والتلاشي أمام الإرادة الغالبة للقوة الفاعلة الدولية . لسنا في وضع يسمح لنا بالعصيان وشق الحسام في وجه الرجل الأبيض ونحن نتسول منه الاستقلال ونحن في غنى عن افتعال مواجهات من أجل قضايا وأمور غير مرئية ، ثم إن هؤلاء اليهود والصهاينة أناس يتحدثون ويتكلمون ويثرثرون في أمور بعيدة قد تكون أولا تكون ، فلنتركهم من أجل الإنجليز هذا هو منطق السكوت والتعامى عن الحركات الصهيونية في مصر وعودة إلى الحديث عن الفيتو ضد الشيوعية فالناحية الثانية والتي تتعلق بالرؤية الذاتية للسلطة المصرية معبرة عن النخبة السياسية الحاكمة والتي تنتمي بطبيعتها إلى كبار الملاك والطبقة الرأسمالية ومجتمع الباشوات ورجال القصر وكل هؤلاء لا بد أن ينظروا إلى الشيوعية كمذهب هدام ونشاط مخرب فكرياً وسلوكياً وسياسياً ويمكنه أن يعمل على تأليب الجماهير وإثارة العوام والغوغاء والدهماء لخلخلة أركان النظام إذا سمح له بذلك ومن هنا فلا بد من الحظر والمنع ثم أن هذا الاتجاه لا يخلو من شبهة الإلحاد ولا يبتعد عن اللون الأحمر ونحن لا نستطيع أن ننسلخ من جلودنا ولا نقدر على الخروج عن إطار الدين ، حتى لو كنا نقف في مربع الليبرالية أو قريبين من العلمانية أما اللون الأحمر فما حدث في روسيا يمكن أن يتكرر في مصر فلا بد من إغلاق هذا الباب أيضاً هناك ، شيء إضافي الخطر الأحمر يمكن أن يكون قريبًا فالثورة البلشفية تجربة شاهدها العالم والتجربة خير معلم والواقع خير برهان أما الصهيونية فلا شيء يبدو في الأفق ، والأمر لا يعدو أن يكون سرابًا بالنسبة لليهودي العطشان ومن هنا استراح السياسي في مصر ومعه رجال

النخبة ورجل القصر إلى واقعه فهو لم يرى خطراً بعينيه أو بنظارته السياسية بينما اليهودي الصهيوني يرى بتلسكوب سياسي نهاية الطريق ، ويرى بميكروسكوب استراتيجي وتكتيكي تفاصيل الواقع وتضاريس الخريطة ويتحرك على رقعة الجيوبولتيكا مجيئة وذهاباً بين المتروبول الغربي والمحطة المصرية في الشرق العربي.

فيما يخص السؤال الثاني عن نشأة الحركة الشيوعية على يد اليهود فيمكن القول أن هذا الأمر استرعى انتباه الكثيرين وقد طرح الراحل د . علي شلشي في كتابه اليهود والماسون في مصر عدة تساؤلات عن أسباب قيام النشاط الشيوعي على أيدي اليهود في مصر.

هل كانت هناك صلة بين الشيوعية والصهيونية على أيدي اليهود ؟

هل كان اليهود الذي نقلوا هذا النشاط من أوروبا ، يريدون صرف أنظار جماهير الشعب الذين في مصر عن الصهيونية ؟

هل كان هؤلاء شديدي الاندماج في المجتمع المصري بحيث أدركوا أن حل مشكلة الفقر لا سبيل له إلا الشيوعية؟

هل كان التفكير في الشيوعية عندهم نوعاً من الترف النظري ؟ أو بمعنى أوضح : هل كان مجاراة لموضة التفكير في الشيوعية التي سادت المثقفين في أوروبا الغربية في فترة ما بين الحربين؟

يمكن القول في محاولة الاجتهاد للرد أو التفسير لهذه التساؤلات أنه من الثابت تاريخياً أن اليهود الروس قد انضموا إلى الحركة البلشقية التي قامت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لمقاومة التسلط القيصري الروسي وأن هناك ثلاثة يهود من أصل تسعة عام ١٨٨١م اتهموا بقتل الكسندر الثاني وأن اليهود قد انضموا إلى حركة البروليتاريا التي بشرت بالمساواة من ضمن ما بشَّرت به ضد التمييز الذي كان يعاني منه اليهود في أوروبا عموماً وفي روسيا على وجه الخصوص ومعنى هذا

أن انضمام اليهود بصفة عامة يمكن تفسيره على أنهم وجدوا في الشيوعية عقيدة سياسية ومفهوما يسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم بشكل أفضل[1] . وقد أوضح هيرتزل في رسالته إلى دوق بادن في ٢٦ إبريل/ نيسان عام ١٨٩٦م ، قدرة الصهيونية على أضعاف العناصر الثورية بجذب البروليتاريا اليهودية التي تمثل عنصراً غالباً وكان من ضمن ما كتبه في ذلك : « ولكن ستكون لحركتنا نتيجتان وإنني أود أن أوجه سموكم الملكي إليها دور الهجرة اليهودية المبادرة في إضعاف الأحزاب الثورية وضرب القوة المالية العالمية وإذا حظينا بالتأييد فلن تكون هذه مجرد كلمات »[2] .

والمتأمل لفحوى ومضمون رسالة أبي الصهيونية إلى الأمير الروسي يستطيع أن يدرك بسهولة مدى تمكنه مما يقول ، ويدرك أيضاً أن الأمر ملء يديه وأن الصهيونية مخترقة للحركات الثورية والشيوعية وهذا شيء يبدو منطقياً من حيث وجود مادة بشرية مشتركة بين الحركتين وهي اليهود فاليهودي الذي يقف على الأرضية الشيوعية ليس ثمة ما يمنعه من الاستجابة إلى الحركيات والفعاليات الصهيونية بحكم الانتماء الأولى لليهودية والدين اليهودي والذي برعت الصهيونية في التعبير عنه هذا إذا التزامنا بالحد الأدنى من التحليل ولم نوافق على رأي قطاع يعتد به من المفكرين والكتاب ، والذي يرى أن الشيوعية هي من إنتاج الصهيونية وإفرازًا لها ويستند الكثيرون أيضًا إلى أن برتوكولات حكماء صهيون تحدثت صراحة عن أن الشيوعية من صنع أيديهم، ولكن في شأن بروتوكولات حكماء صهيون ،هناك قطاع كبير من الباحثين لا يعترف بها كمرجع بحثي أو أكاديمي يمكن الاستناد إليه

(1)عبد الظاهر ، الصهيونية ...، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٩.

(2) إلياس سعد – ملاحظات أولية حول الأيديولوجية الصهيونية – من حيث نشأتها وأصولها المجتمعية ، (شؤون فلسطينية ، بيروت : ، ع ١٢ ، ١٩٧٢م) ص ٢٣.

وذلك بسبب أن أصحابه ينكرونه فكيف يمكن الاستناد إلى مرجع ينكره صاحبه بالإضافة إلى أن هناك ملابسات عديدة وغامضة تحيط بعملية ظهور هذه البروتوكولات ليس المجال هنا للخوض فيها ولعل من أشهر من لا يعترفون بهذه البروتوكولات الدكتور عبد الوهاب المسيري، والمفكر روجيه جارودي ولكن هناك أيضاً من يقول: أننا لسنا في حاجة إلى البروتوكولات فهناك التلمود وهو فيه ما هو أقبح وأسوء بالإضافة إلى أن أصحابه يعترفون به ويضعونه في مرتبة القداسة والاعتقاد وهو « التابو » اليومي والأسبوعي في حياتهم ومعابدهم وبيوتهم وعودة إلى رسالة هيرتزل فنجد أن رد الفعل الروسي كان هو السماح وتشجيع هجرة اليهود الروس من أجل تفريغ الحركات الثورية البلشفية من أعداد كبيرة عناصرها وبالطبع عندما هاجر هؤلاء اليهود الروس كان الكثير منهم مشبع بالأفكار الشيوعية والبلشفية الحمراء ومنهم من هاجر إلى أوروبا ومنهم من هاجر إلى فلسطين ومنهم من جاء إلى مصر[1]. ومن هنا يمكن التفسير إلى حد ما كيف جاءت الشيوعية إلى مصر، وكيف جاءت برداء يهودى وكيف جاءت برداء يهودي.

– فيما يخص السؤال الثالث والذي يطرح إمكانية أن اليهود الشيوعيين الذين نقلوا هذا النشاط من أوروبا، كانوا يريدون صرف أنظار الجماهير عن الصهيونية. فنحن نعتقد أن هذا أمر راجح، لأن المنطق ونهج التوظيف السياسي لكل شيء، والذي تتبعه الصهيونية ، لابد أن يدفعها إلي ذلك. وبالنظر إلى فئات الشعب المصري، سواء كانت عمال أو طلبة أو الطبقة المتوسطة أو الأنتيلجنسيا، فالصهيونية مهما فعلت، لن تستطيع أن تقول لكل هؤلاء: «تعالو معي لنقيم وطنًا قوميًا لليهود»، فهناك حواجز كثيرة دينية، ونفسية، وحضارية، وقومية، لا يمكن أن تنفك عن أصحابها. ومن هنا، فالبديل الملائم هو التضليل الفكري والمعنوي،

(1) عبد الظاهر، الصهيونية ...، مصدر سبق ذكره، صفحات متفرقة.

وتفريغ الطاقات مع طواحين الهواء ، والدفع بمن يتم استقطابهم إلي معارك ضبابية وقضايا وهمية بسيوف خشبية علي طريقة «دون كيشوت» ، وكل ذلك يصب في خانة الهدم والتمزيق للنسيج الاجتماعي ، وزرع الفتن والأحقاد بين الفئات والشرائح الاجتماعية ، بما يصب في النهاية في المصلحة الصهيونية.

* فيما يخص السؤال الرابع ، والذي يتساءل هل كان هؤلاء اليهود شديدي الاندماج في المجتمع المصري ، بحيث أنهم وجدوا أنه لا حل لمشكلة الفقر إلا بالشيوعية . فيمكن القول ، أن هؤلاء اليهود الشيوعيين ، كان أغلبهم أجانب أو من أصول أجنبية ، وكانوا يعيشون في «الجيتو الأوروبي» علي حد تعبير البعض ، وكان الكثير منهم مشتت لغويا ويتحدث بأكثر من لسان الفرنسية والإيطالية والأسبانية وغيرها ، وقد لا يطيق التعامل أو لا يجيد التعامل مع البسطاء والعوام والفقراء بالعربية . وكان هؤلاء اليهود والأجانب يتمتعون بالامتيازات الأجنبية ولا يشغلهم إلا تثبيت أوضاعهم ومكاسبهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبالتالي هم بعيدين عن الفقر والفقراء . وكانت هناك مشكلة في العلاقة بين الإشكناز والسفارديم وهي روح التعالي والاستكبار التي يتعامل بها الإشكناز مع السفارد من بني جلدتهم ، فإذا كان هذا الحال مع السفارد فكيف يكون مع المصريين ؟ القضية إذا ليست فقر المصريين نتيجة التعايش معهم والحياة في أوساطهم الفقيرة البائسة ، ولكن العملية مجرد استقطاب لأفراد وتثقيفهم ثم توظيفهم في خلايا سرية ثم دفعهم بعد ذلك في الأوساط العمالية والطلابية وغيرها. فهي برامج مخططة وموجهة لأفراد وافدين من الخارج ، وليست برامج إصلاحية لأفراد نشأوا وترعرعوا وسط معاناة الناس.

* أما عن السؤال الخامس الذي يتساءل عن التفكير في الشيوعية وكونه نوعًا من الترف النظري ومجاراة لموضة التفكير في الشيوعية التي سادت أوساط المثقفين في

أوروبا في ذلك الوقت ؟ فهذا شيء وارد لدي البعض دون تعميم ؛ لأن طبيعة الحياة الاجتماعية لدي الكثير من هؤلاء اليهود الأجانب ، كانت تسمح بذلك . فأغلبهم تلقى تعليمًا أجنبيًا ، وحصل على مؤهلات دراسية من الخارج وحياته مترفة ، يرتادون الأندية والملاهي الليلية . وهم بذلك لديهم احتكاك بالغرب وما يموج فيه من تيارات ومذاهب فكرية ، استهوتهم منها الفكرة الشيوعية التي كانت رائجة ومتداولة في ذلك الوقت . كما أن الحياة من هذا النوع لدي هؤلاء وأمثالهم ، معناه وجود فراغ عقلي وروحي ، وأي فراغ لابد له أن يمتلئ . وفي تلك الفترة بالذات كانت الشيوعية تطرح نفسها كبديل أيديولوجي جذاب ومختلف خصوصا مع صعود الاتحاد السوفييتي ككيان سياسي وقوة فرضت نفسها علي الخريطة العالمية ومعبرة عن هذه الفكرة الشيوعية . وتزامن مع ذلك الكساد الكبير الذي ضرب الاقتصاد والمجتمعات الغربية مما دفع الكثير من المثقفين في أوروبا وأمريكا إلى النظر والتفكير في البديل الشيوعي. وقد أدى انتشار هذا الأمر في الأوساط الثقافية في الولايات المتحدة إلي تكوين لجنة «مكارثي» الشهيرة والتي كانت تستدعي المثقفين للتحقيق ، إذا كان هناك اشتباه في تبنيهم للشيوعية !! وكان ذلك شيئًا غريبًا علي الحياة الأمريكية والتي تعتمد علي حرية الرأي والتعبير . وإن كان في الوقت نفسه يدل علي الانزعاج والقلق من النظام السياسي الأمريكي ، تجاه انتشار واختراق الفكر الشيوعي لحصون الرأسمالية . وهو ما أطلق عليه في ذلك الوقت «المكارثية» ومن هنا ، فمن الوارد لدى بعض هؤلاء اليهود والأجانب أن تكون دوافعهم جاءت على هذا النحو.

الدور اليهودي في الحركات الشيوعية :

كما أشرنا في بداية هذا الفصل . جاءت الهجرة اليهودية المغادرة لروسيا حاملة معها أفكارًا ثورية للبروليتاريا . ومن جانبها شجعت السلطات الروسية ، هجرة

اليهود الروس للتخلص منهم ، وإفراغ الحركات الثورية الناشئة من قوتهم . ولذا فقد اندفعت جماهير غفيرة من اليهود الروس المتشربة بالأفكار البلشفية للهجرة ومنهم من هاجر إلي فلسطين ثم إلى مصر فيما بعد وخاصة في الحرب العالمية الأولى.

ولذا فإن بعض المهاجرين الذين وفدوا إلي مصر من حوض البحر المتوسط في نهايات القرن التاسع عشر ، حملوا معهم أيضًا أفكارًا ليبرالية، وأفكارًا ثورية. ومن هنا يمكن الحديث عن القيادات اليهودية التي عملت في مجال الفكر الاشتراكي والشيوعي في مصر وذلك كما يلي:

جوزيف روزنتال:

كان جوزيف روزنتال وابنته شارلوت من الذين هاجروا إلى مصر عام ١٨٩٩م، وحصلا على الجنسية المصرية. وكان جوزيف من أوائل القيادات اليهودية التي تبنت الفكر الاشتراكي والشيوعي في مصر. وقد اختلف في تحديد جنسيته. ويذكر الدكتور رفعت السعيد أن تقارير الأمن البريطانية قد أكدت أنه روسي الجنسية، وانه حصل على الجنسية المصرية بعد ذلك[١] . واتضح من تقارير الأمن الإنجليزية عن روزنتال وابنته اهتمامها بالشيوعية، وعن تردد ابنته الدائم على يافا بفلسطين، واتصالها بالتنظيمات اليسارية هناك[٢].

وفي هذا الشأن، يمكن لنا أن نلاحظ أكثر من زاوية. من الاهتمام المبكِّر للسلطات البريطانية بالنشاط اليساري والشيوعي في مصر. وكيف أنها نقلت هذا الاهتمام للحكومة المصرية . وكيف أن السلطات البريطانية شعرت بالقلق من خطورة مثل هذا النشاط علي نظامها الرأسمالي ، والذي يعتبر الاستعمار أحد

(1) رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الشيوعية من ١٩٠٠ – ١٩٤٠م ، المجلد الأول ، القاهرة : شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م ، ص ١٨٢.

(2) المصدر نفسه ، ص ١٨٤.

مفرداته. وأيضا يمكننا أن نلاحظ أن ابنة روزنتال زارت يافا بفلسطين ، بشكل دائم ومتكرر . وهنا يحق لنا التساؤل ، هل هي مجرد زيارات لأبناء وإخوان اليسار في فلسطين ، أم أن هناك شيئًا آخر يربط بين مصر وفلسطين يستدعي التحرك والنشاط ؟ وهل هذه التحركات لخدمة اليسار أم أنها تحركات لخدمة شيء آخر يهتم بمصر وفلسطين معها ؟ هي مجرد ملاحظات واستفسارات فقط .

وقد ذكر روزنتال عن نشاطه في مصر ، أنه كان يميل إلى مبادئ الاشتراكية وأن سعيه لتأليف نقابات العمال لم يفتر منذ قدومه إلي مصر . وأول نقابة اشترك في تأليفها ، هي نقابة عمال السجائر ، والتي يفيد التقرير أنه أنشأها فور وصوله ، ونقابة الخياطين ، وعمال المعادن وكانت هذه النقابات كلها تقريبا للعمال الأجانب [1] . ويلاحظ أنه بالرغم من أفكار وأنشطة روزنتال اليسارية ورصد البوليس البريطاني لأنشطته منذ عام ١٩٠١م ، فإن السلطات البريطانية والمصرية لم تتخذ أية إجراءات ضده ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن تحركاته كانت تتم في وضوح. وأيضا بسبب تمتعه بسمعة حسنة وتأثير في الإسكندرية – حسب ما ورد في تقرير الأمن – وكان ذلك دافعا له للطمع في الفوز بمنصب رئيس البلدية في الإسكندرية [2] . ومن الأنشطة التي قام بها روزنتال إنشاء اتحاد المستأجرين الذي نظم إضرابا شهيرا في السابع من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٢٠م ، احتجاجًا علي ارتفاع أسعار الإيجارات ، كما أقام «جماعة الدراسات الاجتماعية» بالإسكندرية والتي وصفتها التقارير الأمنية بأنها مصدر رئيسي للدوريات والمطبوعات الشيوعية بلغات مختلفة الفرنسية والإنجليزية والروسية والعربية [3] . وقد ساعدت روزنتال في أنشطته

(1) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه ، ص ١٩٦ .

(3) المصدر نفسه ، ١٩٢.

بشكل كبير ابنته شارلوت ، والتي تزوجت من أحد اليهود الروس ويدعي «بهيل كوسي» وشهرته أفيجدور وكان يمثل الكومنترن (الشيوعية الدولية) في مصر[1] .

ومن أبرز أنشطة روزنتال تمكنه في عام ١٩٢١م. من تأسيس «اتحاد نقابات العمال» ، والذي تشكل بعدد محدود لم يتجاوز ثلاثة آلاف عامل ، أيضا ، تمكن في نفس العام من تأسيس الحزب الاشتراكي بمعاونة مجموعة من المصريين ، وهو يعتبر امتداد للحزب الذي أنشأه روزنتال من قبل ، وكان يحمل الاسم نفسه، ولكنه كان يضم عناصر أجنبية . في هذا السياق نجد أنه بلرغم من أن سعد زغلول ، كان قد قال في أحد تصريحاته : «أنه لا يهتم بالمشاكل الاجتماعية ، وأن شغله الشاغل هو قضية التحرر السياسي»[2] . إلا أنه أوفد مصطفي النحاس في ٢٨ سبتمبر/ أيلول ١٩٢١م ، لمقابلة روزنتال بصفته رئيسا لاتحاد العمال وتقديرا لدوره لكي يوزع على العمال بيانًا ينوي نشره قبل الانتخابات[3] . ويلفت النظر هنا ، مقولة سعد زغلول والتي تؤكد ما قلناه من خلال صفحات هذا الكتاب ، أن الأولوية الأولي في السياسة المصرية كانت مطلب الاستقلال ، وهو ما كان سببًا بجوار أسباب أخري في تقاعس مصر عن حظر النشاط الصهيوني علي أراضيها .

* فيما يخص «الحزب الاشتراكي» ، فيعتبر أقدم تنظيم شيوعي في مصر ،وقد تم تأسيسه علي يد «جوزيف روزنتال» بالإسكندرية ، وقصر عضويته علي اليهود والأجانب في المدينة ، في بداية العقد الثاني من القرن العشرين. واستطاع الحزب أن يجذب انتباه أربعة من المصريين وهم : محمد عبد الله عنان ، والكاتب الصحفي

(1)المصدر نفسه ، ص ١٨٧.

(2)د . عبد العظيم محمد رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩١٨م إلى ١٩٣٦م ، القاهرة مكتبة مدبولى ، ١٩٨٣م ، ص ٥١٦.

(3)السعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٦.

سلامة موسى، وحسني العرابي، وعلي العناني. ولكن الحزب أصابه الانشقاق سريعًا، وخرج منه المثقفون المصريون وقال سلامة موسي : «لم يتسع صدر روزنتال لاعتدالنا» بعد نحو عام، تغير اسم الحزب إلي «الشعبة المصرية الدولية للشيوعية»، ولم يكد ينتهي عام ١٩٢٢م، حتى أصاب الحزب تصدع آخر أطاح بروزنتال نفسه بسبب معارضته للانضمام إلى «الكومنترن» الشيوعي، وبدأت السلطات الحكومية في مطاردة أعضاء الحزب، حتى تم اعتقالهم في مارس/ آذار ١٩٢٤م، نتيجة قيام العمال بالاعتصام في بعض المصانع ورفض مغادرتها[١].

ورغم أن جوزيف روزنتال لم يكن من المقبوض عليهم، فقد قررت حكومة الوفد المنتخبة بزعامة سعد زغلول، نفيه ومعه اثنان من الشيوعيين الروس الآخرين على ظهر السفينة (نمسيس)، ولكن روزنتال رفض النزول إلي رومانيا، وعاد على ظهر الباخرة إلي الإسكندرية، ورفضت السفينة مغادرة الميناء وعليها هؤلاء الثلاثة الذين يحملون الجنسية المصرية. وادعي روزنتال المرض فانتقل إلي احدي المستشفيات، ومن هناك رفع قضية علي الحكومة مطالبا بتعويض قدره ألف جنيه نظير تعطيله عشرين يومًا، وأخيرًا وافق سعد زغلول علي قبوله ثانيا في مصر شرط أن يتنازل عن دعواه هذه، وقبل روزنتال ذلك، فانتهت معركته مع الحكومة[٢].

بعد هذه الضربة الكبيرة التي تلقاها الحزب الشيوعي المصري علي يد سعد زغلول. تمكنت بعض العناصر من إعادة تنظيم الحزب مرة أخري، بفضل تحركات أفيجدور زوج ابنة روزنتال. وقد تمكنت حكومة احمد زيوار باشا والتي جاءت بعد حكومة الوفد إلي السلطة من إلقاء القبض علي أعضاء اللجنة المركزية التي شكلها أفيجدور والتي كانت تضم الأسماء التالية :

---

(1) رمضان، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣٥.

(2) الأهرام، (القاهرة)، ٣/ ٦/ ١٩٢٥م.

- أفيجدور والذي كان يحمل اسم قسطنطين فايس في هذه القضية.
- شارلوت ، وهي ابنة روزنتال وزوجة أفيجدور.
- رفيق جبور.
- شاكر عبد الحليم ، وهو طالب أزهري.
- إلهامي أمين .
- شعبان حافظ.

وتم القبض على هؤلاء في ٣٠ مايو/ آيار ١٩٢٥م [١]. وقد ثبت صلة هذه اللجنة بالحركة الشيوعية في فلسطين التي ينظمها اليهود هناك ، ويتزعمها الإشكانزيم الروس هناك. ونتيجة اكتشاف هذا الربط بين الروس بصفة عامة واليهود بصفة خاصة سواء فيما بين مصر وفلسطين ، أدى إلى استفزاز حكومة زيوار باشا ، فشنت حملة على الروس ، ومنعت البواخر الروسية من دخول الموانئ المصرية ، على أن تقوم بتفريغ حمولتها تحت المراقبة وهي راسية خارج الميناء [٢] . وقد صدرت بعد ذلك أحكام بمدد مختلفة على خمسة من اليهود من بين ثلاثة عشر متهمًا في أحداث هذه القضية [٣] .

وهنا يجب التوقف قليلاً عند هذه الوقائع والأحداث ، والفترة التي تلتها ، لنجد أن السلطات البريطانية ، قد تعمدت المبالغة في استشارة الحكومة المصرية بما أسمته بالثورة البلشفية الوشيكة الوقوع. وتحدثت التقارير البريطانية عن الحركة النشطة والثورية للعمال والفلاحين . ذلك كله بهدف إزعاج كل من الحكومة المصرية ، والنخبة المصرية ، والقوى الوطنية على حد سواء ، والإيحاء بأن انتشار الشيوعية

(1) رمضان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥١.
(2) الأهرام ، ١٨ / ٦/ ١٩٢٥م.
(3) السعيد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٨.

سيؤدي ببريطانيا إلى رفض منح مصر استقلالها[1].

وإذا تتبعنا الموقف البريطاني تجاه الحركة الشيوعية في مصر، فسوف نجد أنه على خلاف الموقف المتشدد الذي اتخذه في العشرينيات وتحريضه السلطات المصرية وإثارة مناخ من الفزع والانزعاج من الخطر الشيوعي. نجد أن الموقف تغير في الثلاثينات واتجه إلى التهدئة وعدم التشدد. ويرجع ذلك إلى صعود الفاشية والنازية في أوروبا وتولي كلا منهما مقاليد الحكم في إيطاليا وألمانيا وما أحدثه ذلك من توتر في العلاقات الدولية. وقد انعكس ذلك على مصر، وقد شهد عقد الثلاثينات زيادة في الاهتمام بالأوضاع السياسية والاجتماعية لدي الجاليات الأجنبية، بالإضافة إلى وجود أجواء من القلق والتوتر خيَّمت على الأجانب خصوصا اليهود منهم ويرجع ذلك إلى عدة أسباب.

١- ارتفاع درجة حدَّة المواجهات السياسية في أوروبا من جراء سلوكيات للزعماء الفاشيين والنازيين، وبالطبع صدى ذلك، ينتقل تلقائيًا إلى الجاليات الأجنبية في مصر.

٢- نمو الحركات الدينية والمحافظة في مصر وبروزها على الساحة السياسية (الإخوان- مصر الفتاة) ما أدى، بشكل طبيعي إلى عدم الارتياح لدي الأجانب.

٣- اندلاع المواجهات العسكرية في السنوات الأولي للحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، واقتراب قوات المحور من مصر، وأصبحت مصر رغمًا عنها واقعة ضمن خريطة الحرب. كل ذلك جعل مصير الجاليات الأجنبية في مهب الريح. أما اليهود فقد عمهم الإحساس أن المقصلة النازية يمكن أن تطول رقابهم.

وقد أدت هذه العوامل والأجواء الناجمة عنها، إلى حدوث تقارب بين اليهود والصهيونية من جهة والحركات والتنظيمات الشيوعية، من جهة أخري، لأن هناك

(1) كفافي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

عدو مشترك لهما وهو «دول المحور» ، ومصير الحرب ، وتداعياتها في حكم المجهول . وفي المقابل ، كان هناك نوع من المهادنة والتوافق مع السلطات البريطانية في مصر بحكم هذه الظروف.

٢ـ هنري كورييل :

يعتبر هنري كورييل احد أقطاب الحركة الشيوعية المصرية ، والمبشرين بالفكر الشيوعي فيها. ويمكن القول ، دون مبالغة ، أنه كان أخطر شخصية شيوعية برزت في نهاية الثلث الأول من القرن العشرين . واستطاع أن يخترق كافة مستويات وطبقات المجتمع المصري . من المجتمعات الراقية ، إلى طبقات العمال ، إلى الطلبة ، إلى ضباط الجيش. وكان محورا للحياة السياسية السرية في مصر خلال العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين. ودخل السجن عد مرات ، وكان أستاذًا لكثير من الشخصيات الذين كان لهم دور بارز في الحياة السياسية والاجتماعية خلال الخمسينيات والستينيات والسبعينيات ، وحتي تم اغتياله في ٤ مايو/أيار ١٩٧٨م في باريس(١) .

وكان كورييل يشكل الخلايا الشيوعية في سرية تامة ، خلايا للعمال ، وثانية للطلبة ، وثالثة للموظفين ، ورابعة للضباط ، وخامسة للنوبيين ، وسادسة للسودانيين والأخطر من ذلك ، أن له وجها آخر خلاف الوجه الشيوعي . فقد كان له وجه صهيوني.

هو ابن المليونير اليهودي المصري ، «دانيال نسيم كورييل» ، صاحب بنك الرهونات الشهير في شارع الشواربي وسط القاهرة. والذي كان يمتلك قصرًا في شارع حسن صبري بالزمالك . ومن هنا فقد كان هنري كورييل ، ينتمي إلى الارستقراطية اليهودية المصرية . وحصل على شهادة الحقوق من كلية الحقوق

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٥.

الفرنسية. وعمل مع والده في ميدان العمل المصرفي لفترة . ثم سافر إلى فرنسا للاستشفاء والعلاج من مرض صدري أصابه عام ١٩٣٧م. وظل هناك لمدة عام . وكان معه شقيقه الأكبر «راؤول» وكان لقاء الأخوين في باريس ، نقطة تحول في توجه واهتمامات هنري ، بل مستقبله أيضًا. فقد تأثر «راؤول» بالحركة الاشتراكية في فرنسا ، وكان عضوا باتحاد الطلاب الاشتراكيين ، وقرأ حول الماركسية . واتصل بالشيوعيين الفرنسيين ، ومن هنا كان تأثر هنري بأخيه الكبير ، وبدأ يتعرف على الفكر الاشتراكي[1] . وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تتجمع في الأفق ، استدعاهما والدهما للعودة إلى القاهرة عام ١٩٣٨م.

بعد عودته لمصر ، تعرف هنري عن طريق أخيه راؤول على شيوعي سويسري ، كان يعمل مدرسا في مصر ، وهو «جورج بوانتي» ، والذي كان ينظم حلقات لدراسة الماركسية مع بعض أصدقائه الأجانب والمصريين . وكان تأثير بوانتي على هنري كبير جدًا ،فهو الذي أقنع كوريل بعدم جدوي الإغراق في الجدل النظري ، وضرورة الانتقال إلى العمل السياسي . ودرَّبه على طريقة تجميع أكبر عدد ممكن من الأفراد حول أهداف تعبوية بسيطة ، والتي ساعدته كثيرًا في حياته وتحركاته فيما بعد[2] .

وهكذا مع بداية الحرب العالمية الثانية ، كانت تعقد حلقات تدرِّس فيها الماركسية والتي كانت تضم عشرات من أبناء البرجوازية اليهودية ، وخصوصًا أن اليهود عمومًا بصرف النظر عن الصهيونية ، كان شغلهم الشاغل إقامة وطنهم القومي في فلسطين. بدأ هنري العمل في توسيع دائرة نشاطه في تكوين الخلايا الشيوعية من ناحية ، ومن ناحية ثانية الحض على تحجيم وتلجيم الإحساس بالخوف والريبة والتوجس والكراهية المتفشية بين المصريين حينذاك ضد اليهود . ومن

(1)المصدر نفسه ، ص ٥٢.

(2)المصدر نفسه ، ص٦١.

ناحية ثالثة وهي الناحية الأكثر سرية ، وهي الاتصال بعناصر الصهيونية بغرض الاطلاع على كل ما هو جديد وللتنسيق معهم. وفي هذه الشئون سلك هنري كوربيل خمسة محاور كما يلي :

- المحور الأول :

تشكيل «الاتحاد الديمقراطي» والذي كان يضم راؤول وهنري كوربيل وجورج بوانتي ومارسيل إسرائيل واحمد الأهواني من المصريين وآخرين وأستأجروا مقرًا كان يدفع إيجاره دانييل كوربيل والد هنري وراؤول وصاحب بنك الرهونات الشهير !

- المحور الثاني :

في الفترة نفسها شارك هنري في تأسيس «جمعية الصداقة الفرنسية»، والتي كانت تناصر فرنسا الحرة، من ربقة الاحتلال النذي لفرنسا.

- المحور الثالث :

لجأ هنري إلى حيلة ليخفي بها أنشطته المختلفة ، ويموّه بها على علاقته بالصهيونية ، وهي إنشاء مكتبة في سنة ١٩٤١م بميدان مصطفى كامل بوسط القاهرة ، وكانت مركز تجمع عناصر عديدة من الصهيونية ، وتبيع الكتب المترجمة للتعريف بالماركسية . وأدت هذه المكتبة بالذات ، دورًا هامًا كحلقة اتصال بين جنود الحلفاء الماركسيين من مختلف الجنسيات، ومن بينهم جنود الفرقة اليهودية التي كونها الصهاينة في فلسطين[1] . للخدمة في صفوف الحلفاء. وكانت العلاقات وثيقة بين المكتبة وأولئك الجنود الذين كانت المكتبة توافيهم بالكتب الإيطالية والألمانية المعادية للفاشية ، لتوزيعها على الأسري الإيطاليين والألمان في معسكرات الاعتقال . وقد خص هنري كوربيل أولئك الجنود الصهاينة بالتقدير لما بذلوه من جهود للتعاون مع المكتبة.

(1) السعيد ، تاريخ المنظمات اليسارية المصرية (١٩٤٠ – ١٩٥٠)، القاهرة دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٧ ، ص ١٢١.

- المحور الرابع :

وهو الصحافة ، ولهذا استأجر جريدة «الشعوب» من صاحبها عن طريق أحد معارفه وذلك لتوسيع دائرة نشاطه في نشر الشيوعية ، وصولا لتحجيم شعور عداء المصريين لليهود . وكانت هذه الجريدة هي أداة التعبير للحركة المصرية للتحرير الوطني «حمتو» وكذلك ، الحركة السودانية للتحرر الوطني «حستو» وهما الحركتان التي أسسها هنري كوربيل.

- المحور الخامس :

وهو توزيع المنشورات وخصوصا عندما اقترب الألمان من العلمين ، وكانت هذه المنشورات تنبه إلى أن الألمان ليسوا أفضل من الانجليز . وتدعو لمقاومة المصريين لمقاومة الزحف الألماني في الوقت الذي كان الرأي العام المصري مهيئا للترحيب بالألمان باعتبار أن عدو الإنجليز صديق للمصريين.

واعتقل هنري كوربيل في يونيو/ حزيران ١٩٤٢ بموجب قانون الأحكام العرفية ، ولم يدم اعتقاله طويلاً.

وبعد استعراض محاور الحركة التي اعتمد عليها هنري كوربيل ، نجد أن الصحفي السويسري اليهودي «بول جاك دي كامب» أنشأ في عام ١٩٣٤م ، تجمعًا يساريًا أجنبيًا من عدة جنسيات وبأغلبية من يهود هذه الجنسيات.سماه «اتحاد أنصار السلام» ، واتخذ طابعًا ديمقراطيًا مناهضًا للفاشستية والحرب[1] . وانضم إلى جاكو دي كامب كل من راؤول كوربيل وهنري كوربيل . والذي افتتح مكتبته في ميدان مصطفي كامل والتي كانت تسمى مكتبة الميدان لبيع الكتب اليسارية كما أوضحنا في السطور أعلاه.

وقد حاولت هذه المجموعة إيجاد صلات مع المصريين وضم بعضهم إلى كوادرها ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح . كما حاولت هذه الرابطة التقرب إلى

(1) السعيد، تاريخ الحركة... الشيوعية المصرية ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٧٠٦-٧٠٧.

الوفديين وعقد لقاءات معهم في القاهرة والإسكندرية . وعندما تم إلغاء الامتيازات الأجنبية في عام ١٩٣٧م بمقتضي «اتفاقية مونترو» ، أصدرت الرابطة بيانا باللغتين الفرنسية والعربية وحمل توقيع «الديمقراطيين» ، وحياه باسم هؤلاء الأجانب هذه الخطوة وأكد للشعب المصري صداقة الأجانب له[1].

وفي عام ١٩٨٣م بدا هنري كوربيل في إنشاء «الاتحاد الديمقراطي» والذي يعرف اختصار باسم (ج د) ومعه أخوه راؤول كوربيل ومارسيل إسرئيل وريمون أهيون واستر ستون وهنريت اريب وعزرا هراري وكلهم من اليهود وعقد الاتحاد الديمقراطي أول اجتماعاته في مقر إحدى الجمعيات الماسونية والتي كان يرأسها اليهود[2]. وفي عام ١٩٤٣م ونتيجة للخلافات بين أقطاب المجموعة انقسم الاتحاد الديمقراطي إلى ثلاثة تنظيمات حيث أسس هنري كوريل الحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو) وأسس هليل شوارتز حركه أيسكرا (الشرارة) بينما أسس مارسيل اسرئيل حركة تحرير الشعب

وبدأت الحركة المصرية للتحرر الوصني في تجنيد المصريين ونجحت في تجنيد خمسه وعشرين من بينهم طالب أزهري صاغ قوانين الجدل شعرًا على طريقة ألفية بن مالك وأيضا كان من بينهم ضباط صف في سلاح الطيران وغيرهم وكان كل طالب يحصل على ستة جنيهات شهريًا، وكانت اجتماعاتهم تتم في عزبة مملوكة لأسرة هنري كوربيل قرب القاهرة[3] .

وأما إيسكرا فكانت اكبر هذه التنظيمات ولكنها كانت تتخذ من التلاميذ فى المدارس الأجنبية عناصر مفضلة لكوادرها وكان الطلاب اليهود يسعون إلى اجتذاب الأعضاء الجدد وذلك من خلال أنشطة عديدة منها التركيز على الحركة

(1)المصدر نفسه ، ص . ص ٧٣٣ – ٧٣٤.

(2)السعيد ، تاريخ المنظمات ...، مصدر سبق ذكره ،ص ١٩٠.

(3)المصدر نفسه ،ص ١٩٢.

الاجتماعية والأنشطة المختلطة والتي تسمح بتجميع البنين والبنات في مكان واحد .

في عام ١٩٤٧ تم دمج اتحاد ايسكرا (الشرارة) والحركة المصرية للتحرر الوطني (حمتو) وكونا «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» (حدتو) والتي ضمت لجنتها المركزية رئيسا إيسكرا وحمتو شوارتز وكوربيل وفي أطار تحركها لما اسمته وادعته «حدتو» الخطر الصهيوني على اليهود في مصر ، سعت إلى تكوين مايسمي (الرابطةالإسرائيلية) لمكافحة الصهيونية واجتذب احد كوادر إيسكرا وهو « يوسف حزان » والذي كان عضوا بنادي مكابي الظاهر عددلمن اليهود لهذه الرابطة وقد أعلنت هذه الرابطة عددًا من الأهداف منها :

- الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كلا من العرب واليهود .
- الربط الوثيق بين يهود مضر والشعب المصري في الكفاح من أجل الحرية والاستقلال .
- العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين .
- العمل على حل مشكلة اليهود المشتتين .

وقد اقتصرت الرابطة على أعضائها حتى تكون المعارضة للصهيونية من داخل الطائفة نفسها وأوضح الشيوعيون اليهود أنهم يعارضون الصهيونية من منطلقات مبدئية باعتبارها حركة عنصرية ومن منطلقات وطنية باعتبارها حليفا للاستعمار[١] . ونشطت الصهيونية في مصر لمواجهة هذا الخطر القادم إليها من داخل البيت وكان هذا أمراًمتوقعا وقد صرح عزرا هراري سكرتير الرابطة أن الصهيونية مؤيدة من البوليس المصري وفي يونيه/ حزيران ١٩٤٧م أصدر محمود

(1)المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

فهمي النقراشي باشا رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت قرارًا بحل «الرابطة» بذريعة المحافظة على النظام والأمن العام في البلاد [1].

وبالنظر إلى موقف حكومة النقراشي واتخاذ قرار حل هذه الرابطة يمكن تفسيره انه شك من الحكومة في النوايا الشيوعية أكثر منه انحياز أومحاباة للصهيونية وواضح أن الحكومة لم تقتنع بأهداف «الرابطة» ولم تدرسها أما ذريعة الحفاظ على الأمن والنظام فيبدو أنها مجرد تغطية لقرار الحكومة ذاك، وعند التقييم الموضوعي لهذه الرابطة لايمكن الجزم ، إذا كانت أهداف حقيقية أم هي عملية توزيع للأدوار حيث هنري كوربيل كان صهيونيًا وكذلك كان موقفة واضح من تأييده لإسرائيل ومعارضته لشن الحرب ضدها في عام ١٩٤٨م واعتبر هذه الحرب حربًا استعمارية ، وعمومًا أدي هذا إلى تصاعد الخلاف بين فصيل إسكرا وفصيل حمتو الذي يتزعمه هنري كوربيل ويمكن القول أن البعض خصوصا في اسكرا كان لهم وجهة نظر في خطورة التصاعد الصهيوني على وضعية اليهود في مصر وهو ما حدث تاليا بعد انتهاء الحر ب وقد تم القبض في مايو/ أيار ١٩٤٨م على هنري كوربيل وشوارتز وأفرج عنهما ثم أعيد اعتقالهما مره أخري في عام ١٩٥٠م وتم ترحيلهما من مصر . وقد سافر هنري كوربيل إلي باريس واستقر هناك. وهنا يمكن ملاحظة أن الحكومة المصرية في ذلك الوقت كانت تعتقل وترحل من لديه صله بالحركة الصهيونية . وهكذا قمنا في هذا الفصل بعملية استعراض لجانب مهم من جوانب النشاط الصهيوني في مصر والمتعلق بعلاقته بالنشاط اليساري والشيوعي . والحركة الشيوعية المصرية.

(1) المنشور الذى أصدره الحاخام حاييم ناحوم فى ١٨ مايو/ أيار ١٩٤٨م .
- وثائق الجينزا الجديدة (وثائق البساتين) غير منشورة ، محفوظة بمتحف الفن الإسلامى ، القاهرة ، تحت رقم ٣٨.

الفصل الختامي





تعتبر الفترة من عام ١٩٤٨من وحتى عام ١٩٥٦م ، هى الفترة الحرجة فى تاريخ الطائفة اليهودية فى العصر الحديث ، وهى الفترة التى تم فيها إسدال الستار على وجودهم فى الحياة المصرية ، واعتبرت هذه الفترة بمثابة الفصل الختامى للقصة اليهودية فى مصر فى القرن العشرين ، ويطلق عليها كثير من الكتاب والمؤرخين فى إسرائيل « الخروج الثانى » ، فى اشارة إلى الخروج الأول لهم من مصر مع بنى الله موسى عليه السلام على يد فرعون مصر . وبالطبع هم كعادتهم ، لا يعترفون أن هذا الخروج كان بأيديهم ، وهم كمجموع وأفراد أصحاب المسئولية الكاملة عنه . والحقيقة ، أنه سالت كثير من الأحبار على الأوراق فيما يخص نكبة قيام إسرائيل فى ١٤ مايو ١٩٤٨م ، وما يعنينا فى هذا المقام ، هو ذلك الخروج الثانى الذى يتحدثون عنه ، والذى كانت نكبة عام ١٩٤٨م ، هى السبب المباشر فيه ، ولكن قبل الخوض فى تفاصيل وأسباب هذا الخروج ، دعنا نطل إطلالة سريعة على خروجهم الأول بغية العظة والاعتبار ، ولنا فى قصة موسى عليه السلام ملاحظتان تحدث عنهما أهل العلم والنظر وهما :

- الملاحظة الاولى :

أن النبى الوحيد الذى ذكرت حياته بالتفصيل الكامل فى القرآن منذ لحظة الولادة وحتى المهات ، هو سيدنا موسى عليه السلام وليس سيدنا محمد ﷺ، فقصة حياة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) ذكرت بالتفصيل فى كتب السيرة ولم تذكر فى القرآن الكريم ، أما حياة سيدنا موسى فقد أخذت حيزاً يعادل ربع القرآن الكريم ومنذ ميلاده وإلقاء أمه له فى إليمم ثم كافة مراحل حياته بعد ذلك مع بنى إسرائيل وأمام فرعون ، وأن هذا له حكمة بليغة وعميقة عند الله تعالى يمكن إدراكها والتوصل إليها ، وهى أن أكبر تحد فى تاريخ الأمة الإسلامية على الإطلاق سيكون هذه الدولة الإسرائيلية ، ووورائها العالم كله ، وتمتلك أكثر من مائتى قنبلة

نووية تستطيع أن تبيد بها الملايين من المسلمين . لذلك فالأمة تحتاج إلى مرجع إلهى يكون فيه كل شئ عن عدوهم ، تاريخهم وصفاتهم ومواقفهم ، وكيف يمكن التعامل معهم ، وعندما تعود الأمة الشاردة ، يمكنها أن تجد كل شئ عن عدوها محفوظاً فى الوثيقة الإلهية ، لتدير معركتها باقتدار بأمر الله تعالى .

- الملاحظة الثانية

أن فرعون فى تعامله مع بنى إسرائيل ، كان ـ بخبر القرآن ـ يقتل أبناءهم ويستحى نسائهم ، وكان ذلك بمثابة سياسة عامة للدولة فى ذلك الوقت ، ولا يوجد ما هو أقسى وأبشع منه ، ومع ذلك كان رد انفعل الإلهى ، أن المولود الذى تخاف منه ، سوف يربى فى بيتك ، وسوف تتولى أنت رعايته فى قصرك ، ونفهم من هذا أن الله سبحانه وتعالى ، لا يعاند ، وأن الحرب ضد الله خاسرة . وأن أعداء الإسلام مهما فعلوا ، ومهما تجبروا ، فإن قدر الله آت . وتصر الله قادم . لذلك يقول الإمام ابن القيم الجوزية : « هذا الحق منصور ومبتلى ، لا تعجبن ، هذه سنة الرحمن » .

* وعودة إلى بنى إسرائيل فى مصر ، ونعنى بها الطائفة اليهودية فيها ، نجد أن تطورات الأحداث فى عام ١٩٤٨م والقرار الرسمى الذى اتخذته مصر بدخول الحرب وحالة الغضب والهياج الشعبى فى كافة أرجاء القطر المصرى كان رد فعل طبيعى وتلقائى تجاه ما يحدث فى فلسطين ، وهو ترجمة طبيعية لروابط لا يمكن لها ، أن تزول وهى اعتبارات وروابط الدم واللغة والدين والتاريخ والجوار . وأوجد هذا حالة من الهلع والرعب ومناخًا من القلق والتوتر للطائفة اليهودية بأكملها . وانقلبت حالة التسامح التى عاشوا فيها وألفوها منذ عهود طويلة إلى حالة من الكراهية والاتهام والغضب ، وكان من الصعب إقناع أى مصرى ، أن هناك فرقًا بين اليهودى والصهيونى ؛ لأن كل شئ كان منذ سنوات طويلة معروفاً ومفهوماً وسافراً ووقحاً فى صحفهم وجمعياتهم ومؤتمراتهم وزيارات أقطاب وعتاة الصهاينة ، وكان سفك الدماء

البرئية فى فلسطين يستدعى فوران الدم فى عروق وشرايين المصريين .

وكانت الصحف والإذاعات تنقل ليل نهار وقائع وتفاعلات الأحداث سواء فى ميادين المعركة أو فى أروقة ومطابخ السياسة ، وحاول الحاخام « حاييم ناحوم أفندى » رئيس الطائفة ، أن يمتص حالة الغضب والكراهية المتفجرة فى المجتمع ، وفى نفس الوقت ألا يخسر علاقته بالسلطة الحاكمة ، فأصدر بياناً يؤيد فيه دخول الجيش المصرى للحرب وأكثر من ذلك أن يطالب أبناء طائفته بالتبرع للجيش المصرى فى الحرب !! . وهو الذى تعهد فى عام ١٩٢٥م ، فى السنة التى تولى فيها رئاسة الطائفة ، أمام الزعيم الصهيونى « حاييم وايزمان » ، بأن يعمل على خدمة الصهيونية . كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، وفيما يلى نص البيان الذى أصدره الحاخام :

أبناء طائفتى الكرام

إلحاقاً للنداء الذى أمرت بتلاوته منذ أسبوعين فى جميع المعابد الإسرائيلية بالمملكة المصرية ، عند فتح الهيكل المقدس بتلاوة المزامير والابتهال إلى الله عز وجل بأن يكلأ بعنايته مولانا جلالة القائد الأعلى للجيش المصرى ويحيطه برعايته زخراً للبلاد ورمزاً لمجدها ورفاهيتها :

أتوجه إليكم مناشدكم جميعاً فى الاستمرار فى التبرع بما تجود به نفوسكم الكريمة للترفيه عن جنود الجيش المصرى . وأن يتفضل كل منكم بإرسال إيجيته إما إلى صاحب العزة سلفاتور شيكوريل بك ، رئيس مجلس إدارة الطائفة أو حاخامانة مصر . وهذا عملاً بما ناشدنا به أنبياؤنا وأسيادنا العلماء بالابتهال إلى الله عز وجل ، والعمل على ما فيه سلام الدولة وخيرها وأمنها ، إذ إن سلامتكم تتوقف على سلامتها .

أبنائى الأعزاء

إن لمصر التى ندين لها بالولاء والوفاء فى ظل مولانا الملك المفدى حقوقاً مقدسة ، على كل فرد منا كمصريين أوفياء ، أن يؤدى واجبه أحسن أداء . ففى سلامة مصر

سلامة للجميع وفى خيرها خيرنا جميعاً استمروا جميعاً فى تبرعكم تكونوا ، قد أديتم ما فرضه واجب الوطن .

ونختم نداءنا بالابتهال إلى الله عز وجل ، أن يحفظ مولانا جلالة الملك المعظم حامى البلاد والمؤيد بالتوفيقات الربانية(١) .

القاهرة فى ١٨/ ٥/ ١٩٤٨

ومحاولة الحاخام اليهودى هذه لم تنطلى على أفراد الشعب المصرى ولا الرأى العام فيه ؛ لأن وقائع وحقائق الأمور دفعت الجميع للنظر على أن الصهيونية رافد من روافد اليهودية ، أو بعبارة أخرى كلاهما اليهودية والصهيونية وجهان لعملة واحدة . ولكن الحاخام حقق الحد الأدنى مما يريده ، وهو الأهم بالنسبة له ، فقد حافظ على علاقاته بالقصر والسلطة الحاكمة ، ولم يحدث تغيير أو مواجهات عدائية من أركان السلطة المصرية ؛ وذلك لأنه فى كثير من الأحيان ، اعتبارات السياسة تختلف عن مشاعر واعتبارات الجماهير .

وجاءت سنوات ١٩٤٨م ، ١٩٤٩م ، لتكون علامة وشاهداً على هجرة بعض اليهود من مصر . بداية تناقص إعدادهم ذلك أنه فى تعداد عام ١٩٤٧م وصل عدد اليهود إلى ٦٥٦٣٩ نسمة وهو أعلى رقم وصل إليه تعداد اليهود فى مصر مقارنة بكل تعدادات السنوات السابقة ، ولكن بعد عام ١٩٤٨ وكنتيجة لعوامل ضاغطة كثيرة والمناخ العام السائد بعد الحرب وهو ما سيتم التعرض له تفصيلاً ، بدأ عدد اليهود فى التناقص فوصل عام ١٩٥٦م إلى ٤٠,٠٠٠ ، أى بنسبة نقص يصل إلى ٣٠٪ عن تعداد عام ١٩٤٧م . ثم جاء عدوان ١٩٥٦م ودخول إسرائيل كطرف فى العدوان المباشر ضد مصر بالتنسيق والتحالف مع بريطانيا وفرنسا ، ليزداد منحنى العدد هبوطاً ويصل عددهم إلى ٨٥٦١ نسمة ، أى بنسبة تناقص حادة تصل إلى

(1) شلش ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٧ .

٨٧٪ عن عددهم عام ١٩٤٧م[1] .

وإذا طرحنا بصورة منطقية التساؤل عن مجموعة الأسباب التى أدت إلى التدهور الحاد فى وجود الطائفة اليهودية بعد عام ١٩٤٨م . ولجوء الغالبية العظمى من إفرادها إلى الهجرة فيمكن إرجاع ذلك إلى مجموعتين من العوامل : الأولى عوامل رئيسية والثانية عوامل مساعدة وذلك كما يلى :

أولاً : مجموعة العوامل الرئيسية وتشمل

١- تداعيات حرب ١٩٤٨م

٢- قيام ثورة ١٩٥٢م وتغير العلاقة مع السلطة الحاكمة .

٣- جهود الوكالة اليهودية للهجرة فى عمليات التهجير .

ثانياً : مجموعة العوامل المساعدة : تشمل

١- إلغاء الامتيازات الأجنبية

٢- اتجاه التمصير وقانون التمصير

أولاً : العوامل الرئيسية

١- تداعيات حرب عام ١٩٤٨م

كما أشرنا فى مقدمة هذا الفصل ، نتج عن حرب ١٩٤٨م ، انقلاب وتغيير فى المناخ العام . وحددت السلطات الرسمية موقفها بأن عموم اليهود فى أمان سواء فى حياتهم أو ممتلكاتهم ، ولكن من يثبت تعامله مع الصهيونية بأى شكل من الأشكال فسوف يقع تحت طائلة القانون ، ويفقد بذلك صفة المواطنة والانتماء للوطن ، وقد جاءت تصريحات المسئولين المصريين على هذا النحو ، ولكن فيما يخص الموقف ورد الفعل الشعبى فجاءت بعض الاعتداءات والحوادث كرد فعل طبيعى ولا يمكن

(1)عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ، مجلد ٣ ، طبعة أولى ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ .

مقارنتة بأى حال من الأحوال مع هول الجرائم الصهيونية على أرض فلسطين ، وكل هذه الحوادث المحدودة جاءت كنوع من التنفيس عن السخط الشعبى والغضب الجماهيرى جراء ما حدث فى عام النكبة ، ومن أمثلة هذه الحوادث ، أنه في يوليو ١٩٤٨م ، ثم إلقاء طوربيد من الديناميت بين محل شيكوريل ومحل أوريكو بشارع فؤاد فاتلف جانب كبير من المحلين ، وانفجرت قنبلة شديدة الانفجار فى محل عدس بشارع عماد الدين . وفى أغسطس من نفس العام ، حدث انفجاران شديدان أمام محل بنزايون بميدان مصطفى كامل ومحل جاتينيو بشارع محمد فريد ، تسبب عنهما إتلاف كبير[١] .

نتج عن ذلك تحطم جميع النوافذ ، وتلف كثير من المعروضات ، الزجاجية والخزف قدرت قيمتها بما يعادل ٥٠٠٠ جنيه[٢] ، وفى المعادى وقع انفجار آخر فى مبنى شركة أراضى المعادى ، وكان واضحاً من خط سير الانفجارات أنها موجهة ضد محلات اليهود فقط ، وهو ما دفع سلطات الأمن إلى تكثيف عمليات الحراسة على محال اليهود وممتلكاتهم . وذلك فى محاولات أمنية وقائية لمنع المزيد من التفجيرات .

بالرغم من حراسة الحكومة والإجراءات الأمنية ، إلا أن الغضب الشعبى الجارف كان أقوى ، فقد حدث انفجار كبير فى سبتمبر فى نفس العام ، فى حارة اليهود بالموسكى ، أودى بحياة ٢٠ قتيلاً ، وإصابة ٦١ آخرين ، ونتج عنه أيضاً انهيار أربعة منازل وتصدع ستة[٣] .

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨م ، قتل ١٩ يهودياً وجرح ٦٢ آخرون ، اثر انفجارات أخرى ، وفى أكتوبر تعرض اليهود فى كل من القاهرة والإسكندرية للقتل والسرقة .

(1) المصور (القاهرة) ، العدد ١٢٤٣ : فى ٦ أغسطس ١٩٤٨م.

(2) الرافعى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٨.

(3) شلش ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٣ .

وفى ١١ نوفمبر وضعت قنبلة مرة أخرى فى الحى اليهودى بالقاهرة[(١)] . وبالطبع يمكن تفهم وإدراك خلفيات ودوافع مثل هذه الأعمال ، فليس بمستغرب حدوثها على هذا النطاق المحدود ، ولكن المستغرب هو عدم حدوثها ، بالقياس إلى حجم الحدث الذى وقع فى فلسطين .

ازداد الأمر تعقيداً ، وأوجد المزيد من الاحتقان على الساحة المصرية ، عندما شنت إسرائيل غارة بالطيران خلال شهر رمضان ، وبعد شهرين فقط من قيامها . ويقال أنها كانت تستهدف قصر عابدين ، ولكن أخطأت الهدف وأصابت منطقة آهلة بالسكان فى قلب القاهرة . وكان ذلك إعلان بالتمادى فى التحدى من جانب إسرائيل ضد مصر . وانعكس ذلك بمزيد من إثارة المشاعر وحفيظة الناس على إسرائيل واليهود[(٢)] .

وبالطبع أصبح الفصل بين إسرائيل واليهود أمراً شاقاً ويكاد يكون من المستحيلات .

واضح من السرد السابق ، أن هجرة اليهود خلال عامى ١٩٤٨م ، ١٩٤٩م ، لم تأتِ من فراغ ، وانما جاءت كانعكاسات وتداعيات الأزمة السياسية والدولية التى عمت المنطقة ، نتيجة زرع الكيان الصهيونى الغاصب فى فلسطين . وأن ردود الأفعال الشعبية فى مصر ، كانت أموراً طبيعية وكانت فى نطاق محدود لا يمكن قياسه أو مقارنته بجريمة اغتصاب وطن وطرد شعب عربى بأكمله أمام سمع وبصر العالم وبمؤامرات دولية وغربية فجة ، وبالطبع جاء ضياع فلسطين وحزب الوجدان العربى والضمير المسلم بشدة ، وأصبحت فلسطين مثل المرآة والتى عندما ينظر فيها العرب لا يمكن أن تجاملهم ولا يمكن أن تستر عيوبهم أو تغطيها .

(1)المصدر نفسه ،ص١٥٣ ومابعدها.

(2)الصراحة : (القاهرة) العدد الثانى ، فى ١٧/ ٩/ ١٩٥٠م .

وفى المقابل ، مثلما هزت نكبة فلسطين الضمير والوجدان العربى ، فقد انعكست أحداث الحرب وما ولدته من ردود أفعال وتداعيات على نفسية وعقلية اليهود المصريين . وتوافق المناخ المتأزم مع الميراث التاريخى والنفسى الذى يحمله اليهودى على عاتقه ويعيش به فى أعماقه ، حيث يواجه قدره الذى لا يتركه ، من حيث اللعنة والكراهية والرفض والنبذ من المجتمعات التى يعيشون فيها . وبالطبع لم يسأل اليهودى نفسه عن مسئوليته هو وقومه عن كل ما يجرى ، وإذا كان الغرب أمعن الاضطهاد لهم وقدم لهم المجازر والمذابح والطرد والتشريد عبر عصور وعهود وعقود من التاريخ . وإذا كان الغرب قدم لهم الظلم فتجرعوه ، فان الذين قدموا لهم العدل والتسامح فجحدوه لم يسأل واحد منهم نفسه هذا التساؤل ، وذلك فى الأغلب الأعم . وذلك لطبيعتهم الملتوية وتحريفهم للحقائق ، وجحودهم للحق . أن المجتمعات الإسلامية والشرقية هى الوحيدة التى احتضنتهم وآوتهم ، وكانت لهم بمثابة الملاذ الآمن ، بعد خروجهم المهين من الأندلس ، عندما أقيمت لهم محاكم التفتيش ، هذه حقائق ثابتة تاريخياً ، لا يمكن إنكارها .

وحصلوا فى هذه المجتمعات على كافة حقوقهم المدنية وحياتهم الطبيعية والأكثر من ذلك تمتعوا بما هو أكثر من الحقوق المدنية ، فقد حصلوا على الامتيازات الأجنبية ، والتى جعلت الكثير منهم كأفراد وعائلات يصلوا إلى مستوى من الحياة يصعب تحقيقه فى اى مكان آخر ، لدرجة أن الزعيم الصهيونى « حايم وايزمان » ابدى انزعاجه من أن الرخاء الاقتصادى الذى تعيش فيه العائلات اليهودية فى مصر ، يمكن أن يؤثر على ولائها للصهيونية ، فماذا كان جزاء هذه المجتمعات ، إلا ذبح شعب أعزل بشيوخه ونسائه وأطفاله ورجاله وحتى قبل خروجهم من الأندلس ، عاشوا أزهى عصورهم فى ظل الحكم العربى هناك قبل ضياع الأندلس ، والذى اعترف به « أبا أيبان » وزير خارجية إسرائيل الأسبق فى كتابه

المهم (My People) عندما قال : « شهدت الطوائف اليهودية فى إسبانيا والشمال الإفريقى ، ازدهار فى جميع مجالات الإبداع على مدى قرتين من الزمان – فى أقل تقدير تحت ظل الوصاية العربية هذا الازدهار لم يتحقق من قبل على مدار تاريخ الشتات الذى تعرض له اليهود .

وعودة إلى المناخ الاجتماعى والمعيشى والنفسى الذى كان محيطاً باليهود فى تلك الفترة ، نجد أن العرض العاطفى الذى تقدمه الصهيونية له ، بالحنين إلى وطن يأويه مع تراكم الظروف عليه ، كان منطقياً ، أن يدفع الكثيرين إلى الرحيل ، إن لم يكن اليوم ، فغداً ، والصهيونية منذ نشأتها الأولى وعلى مدار الخط الزمنى لمسيرتها وحتى اليوم ، هى تقدم لكل يهود العالم وكان منهم بالطبع اليهود المصريون عرض عاطفى وأصولى عرض عاطفى يداعب وجدان وسيكولوجية اليهودى التائة ، اليهودى الذى يشعر بالغربة ، اليهودى الذى ليس له جذور فى المجتمع الذى يعيش فيه ، اليهودى المنبوذ المكروه ، الذى يتعامل بالربا فيقابل بالكراهية ، لأنه « مرابٍ » و « مصاص دماء » ، اليهودى الذى يشعر أن وجوده مؤقت فى أى مكان ، اليهودى الذى عنوان حياته الهجرة والارتحال ، اليهودى الذى لا يشعر بالأمن أو الأمان ، اليهودى الذى يعوض فقدان الأمن باكتناز المال ، اليهودى الذى يقدم المال رشوة للحاكم من أجل الحماية ، اليهودى الذى لا يشعر بالانتماء لأى أرض ، اليهودى الذى لا يشعر بالولاء لأى مجتمع ، هذه هى الأوتار النفسية التى أجادت الصهيونية التعامل معها ، أما العرض الأصولى فقد ربطت الصهيونية نفسها بمفردات الهوية اليهودية ، فقالت: إن الوطن لغته العبرية ، وروحه التوراة . والمكان هو الأرض المقدسة واسم الدولة هو إسرائيل والعملة هى الشيكل ، والعاصمة هى القدس وقبلها تل أبيب والأرض هى أرض الميعاد .

وهكذا ربطت مشروعها باللغة والتاريخ والعقيدة ، فلم تعط فرصة لأحد لكى

يهرب منها فإذا لم يهاجر فعليه أن يدفع المال ، وإذا هاجر فعليه أن يحمل السلاح ويقاتل وهكذا قسمت الأعباء والمسئوليات والالتزامات على كل فرد ، على كل كبير وصغير ، على كل رجل وامرأة ، أي أنها وظفت الجميع وسخرتهم وفرضت نوعًا من التجنيد الإجبارى على كل يهودى سواء أكان هذا التجنيد عسكرياً أو سياسياً أو مالياً أو علمياً .. إنه الحشد القومى والاستنفار الاجتماعى ، وعسكرة المجتمع .

ومن خلال الحشد والاستنفار والعسكرة قامت ببناء الهياكل وصب الأعمدة وبناء الجدران وأقامت القلاع والحصون ، وهكذا تحولت إسرائيل إلى ظاهرة توقف عندها الباحثون والمحللون طويلاً . وعندما وقف الباحثون أمام وضعية إسرائيل ، انقسموا إلى فريقين أو اتجاهين : الفريق الأول يرى أن إسرائيل دولة وظيفية نبذها الغرب من خلال « المسألة اليهودية » وقذف بها إلينا ، وزرعها لوظيفة محددة فهى وكيل لمصالحه ورأس حربة له فى المنطقة ، حتى لا تقوم لهذه الشعوب والأوطان قائمة ، ولا تكون له نداً ، فهى عازل استراتيجى ، وقلعه محصنة يصعب اختراقها . أما هى فقد تحقق هدفها ومشروعها واغتصبت الوطن الذى ترجوه . وطالما أنها قامت بوظيفتها وحافظت على مصالح الغرب فهو يرعاها ويحميها وفى الوقت الذى تنتهى فيه وظيفتها فسوف يتركها وعلى رأس هذا الفريق الدكتور عبد الوهاب المسيرى ، ولكن هناك فريق آخر يرى أن إسرائيل ، ظاهرة سياسية مركبة ، وليست مجرد دولة وظيفية ، صحيح أنها بدأت بالاعتماد على الغرب وما زالت تحت رعايته وحمايته ، ولكنها طورت من قواها وقدراتها الذاتية وأصبحت دولة نووية ، وقوة عسكرية هائلة ، وبالتالى فهى تجاوزت وضعية الوظيفة إلى كيان قائم بذاته ، وإن لم تفرط بأى حال من الأحوال فى تحالفاتها الغربية أيضا بمستوى آخر من التحليل ، حول طبيعة علاقاتها بالغرب توجد مدرستان: المدرسة الأولى: يمكن أن

نطلق عليها المدرسة المادية ، وهى التى ترى أن ارتباط وعلاقة إسرائيل بالغرب قائم على المصالح المادية ، وأن وجود هذه المصالح القوية والارتباط المصلحى الشديد بينهما هو الذى يفسر هذه العلاقة وهو الذى يعطى مبررات قوية ومنطقية للدعم الغربى والحماية الغربية لإسرائيل وأن وجود دولة إسرائيل وصياغة دورها كوكيل عن المصالح الغربية العليا ورأس حربة للغرب بمعناها الاستراتيجى الشامل هو التوصيف الصحيح لهذه العلاقة . أما المدرسة الثانية فيمكن تسميتها بالمدرسة اللامادية ، وهى ترى أن علاقة إسرائيل مع الغرب لا تقوم على المصالح المادية فقط ولكنها تعتمد فى المقام الأول على مجموعة عناصر وأبعاد حضارية وعقائدية وثقافية عميقة الجذور فى الحضارة الغربية ، وتغذى ارتباطاتها بإسرائيل وفى الخمسينات والستينات كانت المدرسة الأولى (المادية) ، هى السائدة ولكن تدريجياً ومع حلول التسعينات وبعد حرب الخليج وضرب العراق وإقامة القواعد العسكرية الأمريكية فى المنطقة أصبحت الولايات المتحدة تحمى مصالحها بنفسها ، وأصبح لها تواجد عسكرى مباشر بالمنطقة أى أنها تحمى مصالحها بوضع اليد وليس عن طريق وكيل مصالح أو وكيل أعمال وبالتالى كان من المفترض منطقياً ، بناء على وجهة نظر المدرسة الأولى وهى المدرسة المادية ، أن تضعف علاقة إسرائيل بأمريكا والغرب لعدم الحاجة إليها فى حماية المصالح الغربية .

ولكن العكس هو الذى حدث فقد ازدادت العلاقات بينهما قوة ، مما أعطى قبولا وإقناعاً للمدرسة الثانية ، وهى مدرسة الارتباط الحضارى والعقائدى والثقافى ، حيث إسرائيل بطبيعتها لا تنتمى إلى الشرق ولكنها تنتمى حضارياً إلى الغرب ، وهى تعتبر نفسها جزءًا منه ، والغرب أيضاً ينظر إليها على أنها ولاية غربية فى الشرق ، أو قلعة غربية فى المنطقة أو قاطع وعازل غربى فى الجسد العربى .

وفى الحقيقة ، أن الارتباط الحضارى أشد قوة وعمقاً من الارتباط المصلحى

فالارتباط المصلحى ، يمكن أن يتبدل وهو ارتباط مؤقت مهما طال ، والدليل على ذلك أنه بعد الحرب العالمية الثانية ، وانتصار الحلفاء وهزيمة المحور ، كانت أوروبا مدمرة بالكامل ، وخرجت اقتصاديات دول الحرب وهى منهارة والكيان الوحيد الذى خرج باقتصاده أقوى مما كان قبل الحرب هو الاقتصاد الأمريكى لذلك تبوأت الولايات المتحدة مكانها كقوة دولية كبرى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وبدافع من الارتباط الحضارى بين أمريكا وأوروبا ، قامت أمريكا بمشروع مارشال من أجل إعادة بناء أوروبا بعد الحرب وأنفقت فى هذا المشروع ملايين الملايين من الدولارات ولو أنها اعتمدت على الحساب الاقتصادى فقط ، ما أنفقت دولاراً واحداً ، أى أن الحساب هنا كان حساباً حضارياً وليس حساباً اقتصادياً أو حساب مصالح . وإذا نظرنا إلى علاقة وارتباط مصر بفلسطين كجزء من الارتباط العربى والإسلامى العام فيمكن القول ، أن هذا الارتباط هو ارتباط حضارى بالمعنى الكامل والشامل لهذا الارتباط فهو ارتباط تاريخى وارتباط عقائدى وارتباط قومى وارتباط جغرافى واستراتيجى وأن كل ما يحدث الآن بكل مظاهره ومعاناته وإحباطاته ، هو مجرد جملة اعتراضية فى سياق حضارى وتاريخى لابد له أن يستقيم .

ـ اشاعات طرد اليهود من مصر :

انتشرت فى أواخر عام ١٩٥٠ ، ترددات شائعة بقيام الحكومة المصرية بطرد اليهود المصريين كرد فعل على قيام السلطات الصهيونية بطرد العرب في فلسطين واستمرارها في ارتكاب المجازر ضدهم وقد جاء هذا أيضاً متزامناً مع إجراءات إصدار قانون الجنسية الجديد في سبتمبر ١٩٥٠م وقد جاء نشر هذا الخبر في جريدة «الصراحة» لصاحبها ألبرت مز راحى والتي سبق الحديث عنها في فصل الصحافة ، وجاء نشر الخبر تحت عنوان : اليهود المصريون يسحبون أموالهم من البنوك ويبيعون أسهمهم وجاء فى هذا الموضوع ما يلى :

«أحدث ما نشرته بعض الصحف أمس الأول من أن مجلس الوزراء سيقرر اتخاذ إجراءات بطرد بعض اليهود المصريين بسبب طرد العرب من دولة إسرائيل أحدث هذا الخبر أثراً سيئاً في الأوساط اليهودية، حتى أن بعضهم انتهز الفرصة وقرر سحب أمواله وودائعه من البنوك وبيع ما يمتلكه من أسهم في الشركات كما حدث ذعر شديد حينما طاف بعض رجال البوليس الملكي على منازل المعتقلين السابقين للاستعلام عنهم ومعرفة عناوينهم الجديدة، وقد اتصل كثير من كبار اليهود بالحاخام الأكبر حاييم ناحوم أفندى لمعرفة أسباب هذه التصرفات وبهذه المناسبة نشرنا تأكيداً لمصدر مسئول بأن وزارة الشعب لن تمس يهود مصر بأي سوء وأن ما نشر لا سند له من الحقيقة والواقع وقد صح ما قلنا، فلم يعرض الأمر على مجلس الوزراء وتبين عدم صحة هذه الأخبار المزعجة وقد زار سيادة الحاخام الأكبر صباح اليوم سعادة محافظ القاهرة، ومدير مكتب الشئون العربية بسبب هذه المسألة فأكد كلاهما لسيادته عدم صحة هذه الأباطيل[1].

وواضح من هذا الخبر أن الأمر لم يخرج عن نطاق شائعات ترددت بين الناس عموما وبين اليهود بصفة خاصة وكيف يتم نشر أخبار عن قرارات قبل أن يجتمع مجلس الوزراء ويصدرها وهذا يبين بالطبع أنها مجرد أقاويل وإشاعات وعادة الإشاعات تنتشر في أوقات الأزمات وفي الأجواء المضطربة

ويمكن رد هذه الإشاعات والتي تم تكذيبها رسمياً وإعلاميا بعد ذلك إلى مجموعة من العوامل المتشابكة كما يلي :

١- أجواء الخوف والقلق والترقيب التي خيمت على اليهود المصريين وإحساسهم بالخطر من احتمالية أو إمكانية اتخاذ الحكومة المصرية مثل هذا الإجراء كرد فعل على الممارسات الإسرائيلية بطرد العرب الفلسطينيين في ذلك الوقت .

(1) الوقائع المصرية (القاهرة)، العدد ٦٤ - غير اعتيادى - فى ٣٠/ ٥/ ١٩٤٨م .

٢- اتخاذ الحكومة والبرلمان لإجراءات تحضير وإصدار قانون الجنسية الجديد والذي صدر في سبتمبر عام ١٩٥٠م وبالطبع مشكلة الجنسية كانت إحدى المشكلات التي واجهتها الطائفة اليهودية حيث أن أفرادها ينتمون إلى ثلاثة فئات ، الفئة الأولى: هم اليهود المصريين الثانية: اليهود الأجانب ، والثالثة: هي اليهود الغير محددي الجنسية وقد بدأ هذا الموضوع في الظهور بداية من إلغاء الامتيازات الأجنبية في عام ١٩٣٧م بمقتضى معاهدة مونترو ثم بدأ يظهر بصورة أكبر مع صدور قانون تمصير الشركات عام١٩٤٧م مما سبب إشكاليات كبيرة لليهود الأجانب وغير محددي الجنسية وأثر على مصالحهم والحقيقة أن الامتيازات الأجنبية جعلت الأجانب وفي القلب منهم اليهود بمثابة دولة داخل الدولة وأعطتهم فرص كاملة في الربح والثراء دون أي رقابة أو مساءلة أو ضرائب أو خضوع للقانون المصري ، لذلك حتى من كان منهم لديه جنسية مصرية يسعى من أجل الحصول على جنسية أجنبية . وأظهرت عملية إلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧م، عدم وجود ولاء أو انتماء لمصر لدى هؤلاء اليهود ففي عهد الامتيازات الأجنبية كانوا لا يقيمون وزناً أو قيمة للجنسية المصرية لدرجة أن فئة كاملة منهم فضلت عدم الحصول على أي جنسية واعتبرته أفضل من الحصول على الجنسية المصرية وبعد إلغاء الامتيازات أخذوا يهرولون من أجل الحصول عليها فالولاء هنا ليس للوطن ولكن للمصلحة وصدق فيهم كارل ماركس عندما قال: «اليهودى لا يعبد الله ولكنه يعبد الكمبيالة وجاء قانون تمصير الشركات عام ١٩٤٧م ليضخم من مشكلة الجنسية بالنسبة لهم ، وفي الأجواء المتوترة بطبيعتها في ذلك الوقت أوجد ذلك انزعاجاً على مصالحهم واحتمالات ترحيلهم.

٣- أفرزت حرب فلسطين ١٩٤٨م تغيراً في السياسات والإجراءات الأمنية من أجل الحفاظ على أمن وسلامة البلاد وبالتالي كان هناك متابعة وملاحقة لكل من

يثبت من اليهود تعامله مع الصهيونية وخضوعه للاعتقال أو الترحيل ومصادرة الأموال ، وذلك على عكس العهود السابقة عن حرب ١٩٤٨م والتي تحدثنا عنها طويلاً في صفحات هذا الكتاب وتم ذلك بمقتضى أمر الحاكم العسكري الذي صدر في ٣٠ مايو ١٩٤٨م[1] وهذا الأمر مثل ضغوطا على هؤلاء اليهود وأوجد نوع من التوجس والترقب والتأويل لكل شئ .

٤- اتجاه التمصير ، والذي أخذ مدًا عاليًا بقوة الدفع من الحركة الوطنية المصرية وبدأ ذلك بعد النجاح في إلغاء الامتيازات الأجنبية ونتج عن ذلك صدور قانون الشركات لعام ١٩٤٧م وما أعقبه من إجراءات ألزمت بها الشركات لتوفيق أوضاعها وذلك من أجل تحقيق مصالح مصر الاقتصادية وتوفير فرص عمالة للمصريين وللإنصاف كان هذا القانون أحد النقاط المضيئة في عهد ما قبل الثورة وبالطبع سبب هذا القانون إشكاليات للأجانب واليهود الأجانب وانعكس بآثار سلبية عليهم وصورت الدعاية الصهيونية في ذلك الوقت أنه موجه ضد اليهود خاصة وبالطبع كل ذلك جعل مصر في أعينهم لم تعد كما كانت في السابق.

وقد تضافرت العوامل السابقة لتلقي بظلالها على المناخ العام وفي مثل هذه الأجواء يكون من السهل انبعاث الأقاويل والشائعات بدون سند مثل شائعات الطرد لليهود وغيرها وقد بادرت صحيفة أخبار اليوم بنفى إشاعة طرد اليهود من مصر وجاء في ذلك ما يلي : «نفت المصادر المسؤولة ، ما نشر في إحدى الصحف من اتجاه النية إلى إخراج عدد من اليهود من مصر يعادل عدد العرب الذين طردوا من ديارهم وقالت: إن المقصود بنشر الخبر هو التأثير في السوق لصالح المضاربين[2] بعد ذلك بيوم واحد سارعت جريدة الصراحة اليهودية بنشر أخبار عن المسؤولين في

(1) السابق نفسه .

(2) أخبار اليوم (القاهرة)، ٣٠/ ٩/ ١٩٥٠م.

مصر تطمئن اليهود بأن الحكومة لن تتخذ أية تدابير تعسفية ضد اليهود المصريين والأجانب ومما جاء في ذلك :

«صرح لنا مصدر مسؤول بالحكومة بمناسبة تجدد إشاعة طرد يهود مصر صرح قائلاً : «إن الحكومة المصرية حريصة على احترام القانون في كل أعمالها وتصرفاتها وليس مثلها في ذلك كمثل الرجل الجاهل الذي إذا ما اعتدى عليه فكر في سرعة الانتقام دون أن يحسب لأحكام القانون أي حساب . لذلك لا يمكننا للأسف أن نساير إسرائيل فيما ترتكب من مخالفات صارخة وهذا هو السبب الذي من أجله لم تنسرع الجهات المختصة في اتخاذ تدابير انتقامية أو بمعنى أصح اتخاذ تدابير لأعمال القصاص ضد إسرائيل . ويستطرد المسؤول في الحكومة إنه إذا كانت هناك تدابير تتخذ فلن تكون إلا ضد من يثبت خيانته وعمله لصالح الصهيونية [(1)].

– قيام ثورة ١٩٥٢ وتغير العلاقة مع السلطة الحاكمة

في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قاد اللواء محمد نجيب انقلاباً عسكرياً ناجحاً أطاح بالملك فاروق وألغى الملكية وأعلن النظام الجمهوري في مصر وبدأت الحكومة المصرية الجديدة وفي الحال سياسة التشدد في مواجهة إسرائيل فأخذت تضيق الخناق على النشاط اليهودي في مصر وتساعد العمليات الفدائية ضد إسرائيل وتفرض حصاراً في قناة السويس على السفن القادمة أو الذاهبة إلى إسرائيل .

وفي الوقت نفسه بدأت تحدث تطورات على المسرح الدولي تزيد من قلق إسرائيل وقادتها وبالحاسة السادسة السياسية لدى القادة الإسرائيليين انزعجوا من هذه التطورات والتي تمثلت في أنه بعد الإطاحة باللواء محمد نجيب في شتاء عام ١٩٥٤م بدأت الحكومتان الأمريكية والبريطانية تتوددان لمصر بالنسبة للولايات

(١) الصراحة : العدد ١٢ في ٢/ ١٠/ ١٩٥٠م – مصر لن تتخذ إجراءات تدبير ضد اليهود المصريين والأجانب .

المتحدة ، كان « جون فوستر دالاس، ينصح الرئيس الأمريكي على انتهاج سياسة مواليه للعرب ، وقام دالاس وزير الخارجية الأمريكي بزيارة للقاهرة واجتمع مع قيادات الثورة المصرية فيما يختص انجلترا فقد وافقت على سحب قواتها من قناة السويس طبقاً لاتفاقية الجلاء ومعنى ذلك أن الحصار المفروض على الملاحة الإسرائيلية في قناة السويس سوف يكون حصاراً كاملاً غير منقوص وأيضاً وافقت بريطانيا على تزويد السلاح الجوي بطائرات جديدة .

ومن هنا كان لا بد من رد فعل إسرائيلي يقطع الطريق على أي علاقات جيدة بين مصر بنظامها السياسي الجديد والقوى الفاعلة الدولية؛ لأن السكوت على مثل هذه العلاقات لا بد أن يكون خطراً وتهديداً لإسرائيل . وجاء رد الفعل الإسرائيلي فيما عرف بفضيحة لافون والتي كان لها انعكاسات سلبية على مستقبل الطائفة اليهودية في مصر والتي بدأ يتبلور انطباع لدى الرأي العام المصري ولدى كثير من النخبة الحاكمة: أن الكثير منهم يمثلون طابورً خامسًا يجب التعامل معه بيقظة وحزم وجدية.

حملة التخريب وفضيحة لافون :

في آخر شهر يناير عام ١٩٥٥م وبعد أن نظرت المحكمة في القضية حكم على ثنين من المتهمين بالإعدام وهما الدكتور موسى مرزوق والمهندس صموئيل عازار[1] وصدرت أحكام أخرى بالسجن على بقية الشباب اليهود المتورط في القضية وبالطبع كان هذا الشباب اليهودي من المصريين وعاشوا وتربوا وتعلموا في هذا الوطن ولكنهم انساقوا وراء الفكر الصهيوني واستجابوا لأجهزة تجسس ومخابرات لدولة معادية ، بغرض التدمير والتخريب لمنشآت حيوية ومصالح دول أجنبية ، وعلى وجه التحديد بدأت عملية إعداد هذا الشباب اليهودي المصري

(1)الاهرام فى ١/ ٢/ ١٩٥٥م. إعدام الجاسوسان الصهيونيان صباح أمس .

للتجسس على البلاد منذ عام ١٩٥١ [١] وذلك على يد أحد كبار ضباط الجيش الإسرائيلي ويدعى جون دارلنج وهو يهودي من أصل يمني اسمه الحقيقي «آرام دار» .

جاء جون دارلنج أو آرام دار مصر واتصل باثنين من اليهود فيها وهما الدكتور فيكتور سعاديا والثاني «عبده دانون» وعمل الاثنان على تأسيس شعبيتين للمنظمة

الأولى : في الإسكندرية وكونها «عبده دانون» .

والثانية : في القاهرة وكونها الدكتور «فيكتور سعادياً» والشعبتان تتلقى كلٌ منهما الأوامر والتعليمات من القيادة العليا للتجسس الإسرائيلي بباريس[٢] .

الخطوة التالية بعد تأسيس الشعبتين كانت اختيار عينة أو مجموعة محددة من الشباب اليهودي والتي تتراوح أعمارهم بين ١٧-٢٠ سنة على الأرجح وكان العدد كبيراً وتم تصفيته إلى ١٥ متهماً بالإضافة إلى فتاة واحدة عمرها ٢٦ سنة وهذه الفتاة تدعى «فيكتور نينو» ومشهورة باسم «مارسيل نينو» وكانت بطلة أولمبية .

أما عن المتهم الأول وهو الدكتور موسى ليتو مرزوق هو يعمل طبيبا بالمستشفى الإسرائيلي بالقاهرة وأهميته أنه من قادة التنظيم السري ويتخذ لنفسه اسماً مستعاراً هو اسم بول وذلك للتمويه والسرية واعترف هذا المتهم بأنه منضم إلى جمعية سرية وأن هذا ما تم بناء على اتفاق مع دارلنج رئيس المخابرات الإسرائيلي وأن هذه الجمعية كانت تعمل لصالح إسرائيل وقت الحرب ووقت السلم .

وبالطبع أدلى بالتفاصيل الكاملة عن نشاطه ودوره في هذه الشبكة أما المتهم الثاني وهو «صموئيل عازار» هو مهندس لاسلكي في المنطقة وكان عمله الأساسي هو الأجهزة اللاسلكية واعترف بأنه شارك في الحرائق التي حدثت بسينما ريفولي

(1)الاهرام فى ٢/ ١/ ١٩٥٥م. الدفاع يواصل مرافعته فى قضية الجاسوسية.

(2)الاهرام : فى ٣/ ١/ ١٩٥٥م.

وسينما راديو ومكتب الاستعلامات الأمريكي ، كما أدلى بأقوال خطيرة كشفت عمليات التخريب وكيفية تركيب المواد الكيماوية وإشعال الحرائق وكذلك الاتصالات مع جون دارلنج وأنه كان مخططاً إعداد مصنع للمفرقعات[1] ، وإلى غير ذلك من التفاصيل وتوالت اعترافات باقي المتهمين وأدوار كل منهم واتصالاتهم مع المخابرات الإسرائيلية أثارت حملة التخريب هذه التي قامت بها الموساد في مصر وما نشأ عنها وترتب عليها من أحداث مأساوية فضيحة كبرى في إسرائيل فقد جاءت بعكس نتائجها تماما وبدلا من أن تسيء إلى مصر في أعين الغرب أساءت إلى إسرائيل فقد كانت كرصاصة ارتدت إلى صدر أصحابها . وقد عرفت هذه الفضيحة باسم « فضيحة لافون » نسبة إلى بنحاس لافون وزير الدفاع الإسرائيلي الذي أعلن أنه المسئول عنها بصفته وزير الدفاع الإسرائيلي والرئيس الأعلى للمخابرات العسكرية وبالتالي قدم استقالته.

أدت هذه الفضيحة إلى تحطيم مستقبل البعض أما بن جوريون نفسه رئيس وزراء إسرائيل ورجلها القوى فقد تعرض لانتقادات شديدة ويمكن القول أن فضيحة لافون مثلث منعطفاً سلبياً شديد الانحدار بالنسبة لموقف ومصير الطائفة اليهودية المصرية وأوصلت الأمور إلى نقطة اللاعودة وجاءت بعدها مباشرة حرب السويس في عام ١٩٥٦م لتضع السطر الأخير في القصة اليهودية على أرض مصر . وبالرغم من كل ذلك فليس صحيحاً على الإطلاق أن الخروج الإسرائيلي كان عبارة عن عملية طرد جماعي كما صورته الدعاية الصهيونية ولكن الخروج كان اختيارياً ولم تتخذ أي إجراءات سلطوية إلا ضد من ثبت أن له اتصالات أو أنشطة مع الصهيونية وبالطبع كان هناك إجراءات وقائية ورقابة أمنية وهذا أمر طبيعي تماماً لدولة في حالة حرب مع أعدائها.

(١) الأهرام : فى ٢٨/ ١/ ١٩٥٥م.

٣- جهود الوكالة اليهودية للهجرة في عمليات التهجير :

من الأمور البديهية أن إسرائيل كانت تضع نصب عينيها دفع اليهود في كل الدول إلى الهجرة بما فيها بالطبع يهود الدول العربية ويهود مصر ، لذلك كانت الدعوات والإغراءات والاتصالات السرية والخفية لا تنقطع وكان اليهودى في مصر مطروحاً أمامه خيار الهجرة ليل نهار وكان تدهور الأوضاع وسوء العلاقات الاجتماعية وعمليات النبذ والرفض الاجتماعي في المجتمع المصري بالإضافة إلى تبدل الأوضاع الاقتصادية من حيث إلغاء الامتيازات والتمصير كل ذلك كان يدفع باتجاه الرحيل.

أما عن الطريقة التي هاجر بها يهود مصر إلى إسرائيل فهي تأتي ضمن خطة إسرائيل في نقل المهاجرين إليها ذلك أنها أوكلت ذلك على عدة مؤسسات مهمتها إعداد المهاجرين ونقلهم إلى إسرائيل ومن هذه المؤسسات الوكالة اليهودية للهجرة ولجنة التوزيع المشتركة الأمريكية وغيرها من المنظمات الصهيونية المختلفة ولم تقم الحكومة الإسرائيلية نفسها إلا بجهد ضئيل في هذا الشأن.

ومن أهم أدوار الوكالة اليهودية في ذلك أنها قامت بإنشاء شركة الطيران الإسرائيلية « العال » وقامت أيضاً بإنشاء شركة « زيم » للملاحة لنقل المهاجرين إلى إسرائيل[1].

ثانياً : العوامل المساعدة

سبق الحديث عن هذه العوامل وإيضاح مدى تأثيرها السلبي على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لليهود في مصر والحقيقة أن هذه العوامل والتي نعني بها إلغاء الامتيازات وقانون التمصير أثرت على الفرص العملية الاقتصادية بالنسبة

(1) د. وليم فهمى ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، (القاهرة : معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٧١م) ص ١٠٩.

لليهود وصحيح أن يهود الطائفة حاولوا تجاوز هذه الآثار والتكيف مع الظروف الجديدة ولكن الظروف السياسية وتداعيات الصراع العربي الإسرائيلي تحالفت مع هذه العوامل المساعدة بحيث غيرت تماما من شكل وطبيعة الحياة والعلاقات في مصر وكانت النتيجة هى الرحيل والهجرة .



خاتمة

يتضح من الاستعراض العام، أن مصر كانت المركز الرئيسى للتحرك فى المنطقة بالنسبة لقيادات وكوادر المشروع الصهيونى، وأنها كانت المحطة الإقليمية التى لا غنى عنها لهذا المشروع.

وذلك لقربها الجغرافى، وقيمتها ومركزها فى المنطقة من الناحية السياسية والاستراتيجية، وقد تضافرت عوامل عديدة ومتشابكة أسهمت فى إتاحة الفرصة كاملة لهذا النشاط الصهيونى، وصنعت مواقف واتجاهات وسياسات متخاذلة وغير جادة - لم تنفرد مصر بها وحدها وأدت تلقائياً ويحكم الأيلولة، وطبائع الأمور إلى فواتير فادحة الثمن دفعها الجميع، ومن هذه العوامل ما يلى :

١- الاحتلال البريطانى لمصر، ساهم بشكل أساسى فى عدم وجود دولة مستقلة، لها سياسات قوية نابعة من إرادتها وفى نفس الوقت وفر هذا الاحتلال الحماية لليهود فى كل أرجاء العالم وفى مصر وفى فلسطين، ومثلما كان هناك انتداب بريطانى على فلسطين، لم يسمح للشعب الفلسطينى أن يحافظ على أرضه، كان هناك احتلال بريطانى لمصر، مثل قيداً عليها، وغل يدها وأفسد إرادتها عن التحرك وممارسة دورها الملائم والمطلوب.

٢- كانت قضية الاستقلال الوطنى، هى الأولوية الأولى فى السياسة المصرية، وكانت مدرسة سعد زغلول فى السياسة والوطنية ترفع شعار « مصر للمصريين »، وساهم ذلك فى انهماك مصر فى همومها الداخلية، وانكفائها على الداخل دون النظر أو الوعى السياسى لخطر الصهيونية، وعملية التآمر الدولى لاحتلال فلسطين

ويتحمل مسئولية ذلك الأحزاب السياسية والحكومات المتعاقبة والقصر الملكى .

٣- وجود طائفة يهودية قوية ولها نفوذ ، وتملك مفاتيح الاقتصاد وعلاقات متشعبة ومفتوحة ، وتتوافر لها الحماية وجعلها تمثل نوع من اللوبى اليهودى ، له مصالحه وارتباطاته ، وتأثيره فى المطبخ السياسى وعمليات صنع القرار .

٣- عدم توافر المعرفة الكافية ، ونقص الثقافة السياسية لدى القيادات السياسية ورجال الأحزاب وأهل النخبة ، لم يسمح لهم بالإلمام بأبعاد وخبايا سياسات ومؤامرات إمبراطورية عظمى مثل الإمبراطورية البريطانية ، ولم يسمح لهم بالإطلاع أو المعرفة الدقيقة بما يدور فى أروقة ودهاليز السياسة فى عواصم القرار الدولى فى ذلك الوقت ، وهذا يفسر كثير من المواقف والوقائع الصادمة والمستفزة والتى تم التعرض لكثير منها فى ثنايا هذا الكتاب .

وليس أدل على ذلك ، من أن الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، قابل هيرتزل مؤسس الصهونية ، وطلب منه مساعدته فى الضغط على الحكومة البريطانية من أجل قضية استقلال مصر !! ، وقد كتب « هيرتزل » فى مذكراته قائلاً : « سليل الفراعنه الذين اضطهدونا يطلب مساعدتى أنا اليهودى » . ولا يمكن تفسير ذلك إلا بأنه نقص فى المعرفة وعدم إدراك حقيقة ما يدور وراء الكواليس .

ولكن من ناحية اخرى ، لا يمكن الاخذ بهذ التفسير أو التبرير على إطلاقه وفى كل الأحوال ، لأن هناك مواقف وأحداث كانت واضحة للعيان ولم يتحرك أحد .

٤- العيوب الهيكلية والنفسية للشخصية العربية ، سواء على المستوى الفردى أو الجماعى ، وسواء على مستوى السياسات العامة أو المواقف والممارسات الفردية ، والتى عبر عنها موشى ديان أفضل تعبير عندما قال : « العرب لا يقرأون ، وإذا قرأوا لا يفهمون ، وإذا فهموا لا يعملون ، وإذا عملوا لا يحسنون » .

أخيراً ، نخلص من رحلة هذا الكتاب إلى أن المشروع الصهيونى ذلك المشروع

الضخم الكونى المعولم ، والذى تمت صياغته وهيكلته وتشكيله فى المتروبول الاستعمارى وعواصم القرار الدولى ، والذى أسفر عن أكبر قضية مركزية للعرب والمسلمين فى تاريخهم المعاصر.

والذى بناءً عليها ستتحدد إمكانيات ومسارات المستقبل بالنسبة لهم جميعاً لقد واجه العرب المشروع الصهيونى وهم مغيبون عن العالم وعاشوا ويعيشون فى أوطان رسمت خرائطها دون علمهم وحاصرتهم الأسلاك الشائكة لهذه الأوطان ، ولكنهم قد سوها ، دون أن يدروا من أين بدأت هذه الأسلاك ، وأين تنتهى ، ولماذا وضعت ؟ والمضحك المبكى أنه عندما حانت ساعة ، وجاء يوم الضياع ، كانت هناك جيوش عربية لأوطان محتلة تحاول إنقاذ وطن آخر محتل !! ، إنه البؤس العربى فى أوضح معانيه ، وعلى نفس المنوال البائس ضاعت القدس الشريف ، وعودتها النبيلة لن تكون أبداً ، على مثل هذه الأنماط التعيسة التى أدمنت العمى وأمعنت فى التيه إن كرامة القدس تحتاج إلى كرماء وشرفها يحتاج إلى شرفاء والكرماء والشرفاء لابد أن يستفيدوا من أخطاء الأمس وخطاياه .

وأن يتعلموا من كل خطأ ، وأن يبتعدوا عن كل خطيئة هذه هى رسالة هذا الكتاب ، وهى فى مجملها دعوة للأمل بعد انتقادها للبؤس ، ونوع من إبراء الذمة أمام الله ، وحنين ووفاء إلى عروس المدائن وقدس الأقداس .



الفهرس

الموضوع | الصفحة

